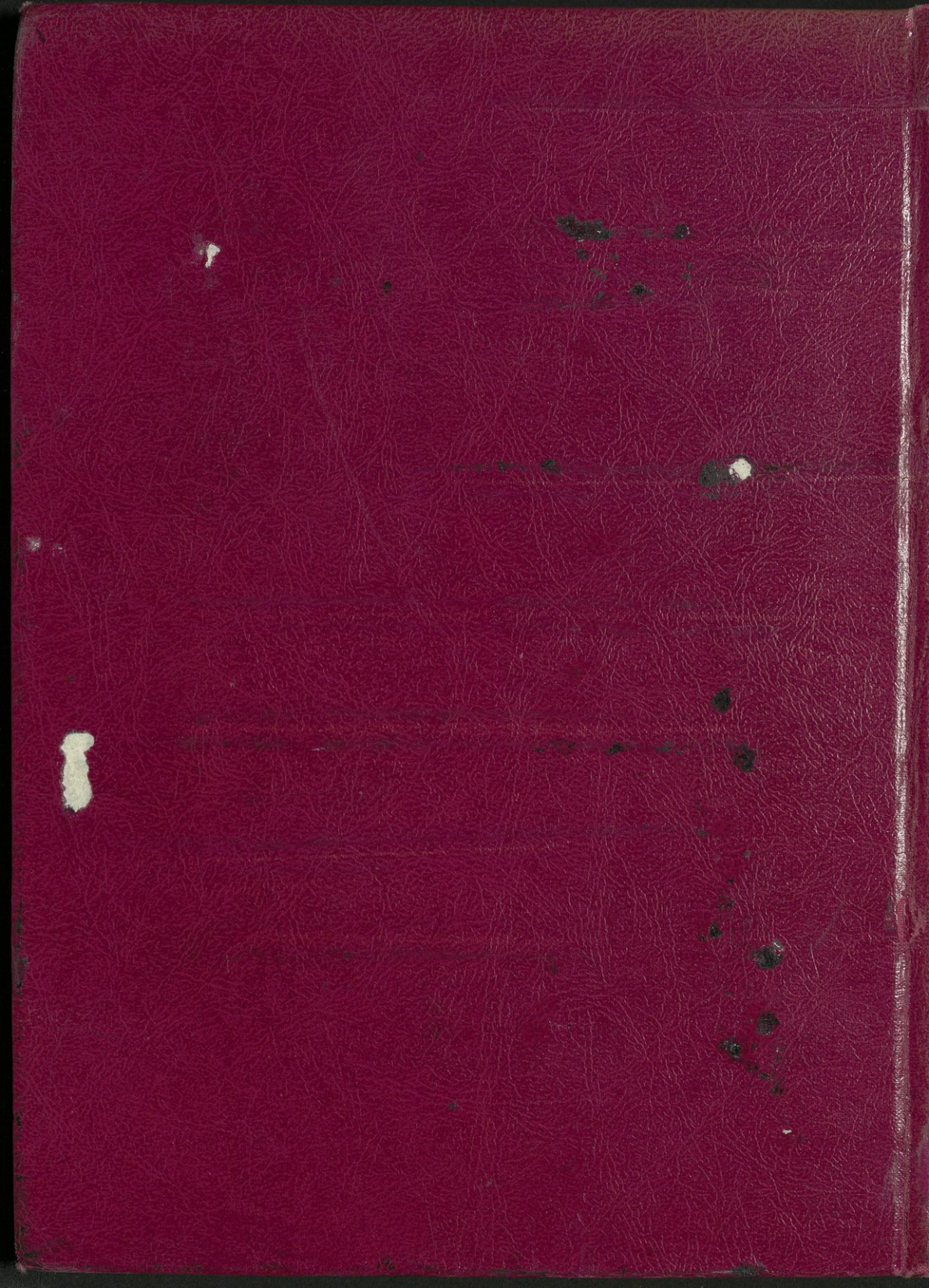
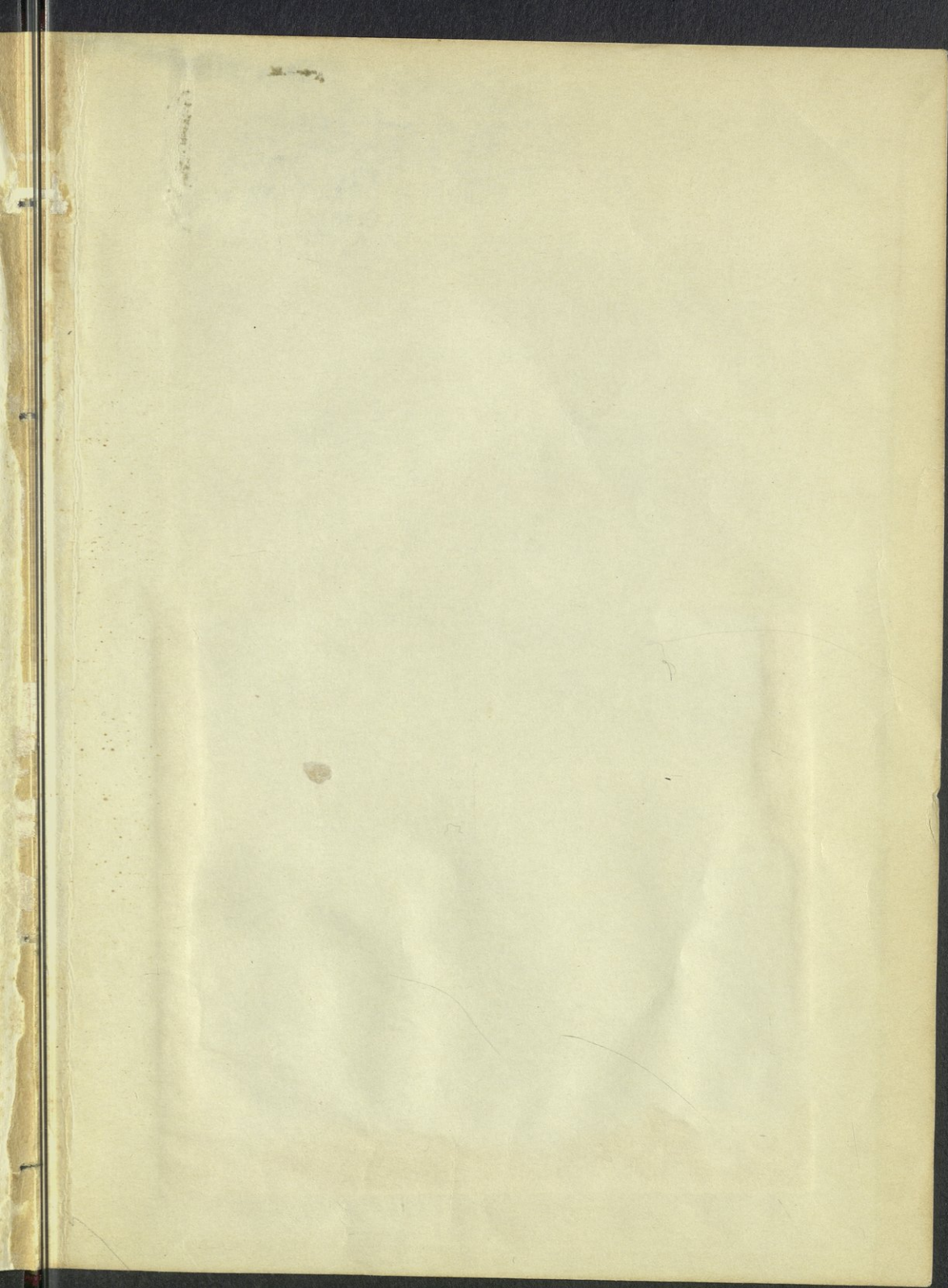
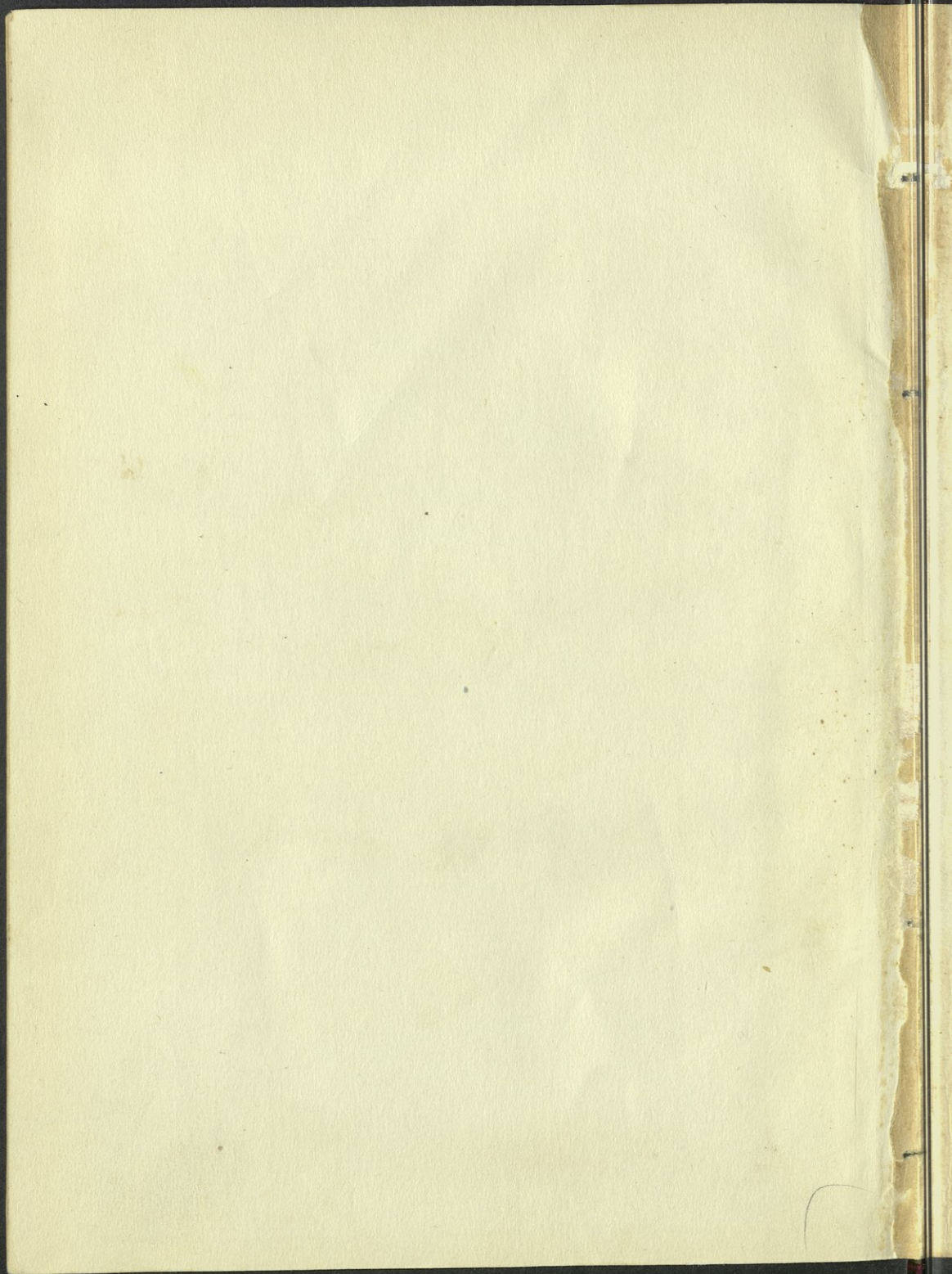


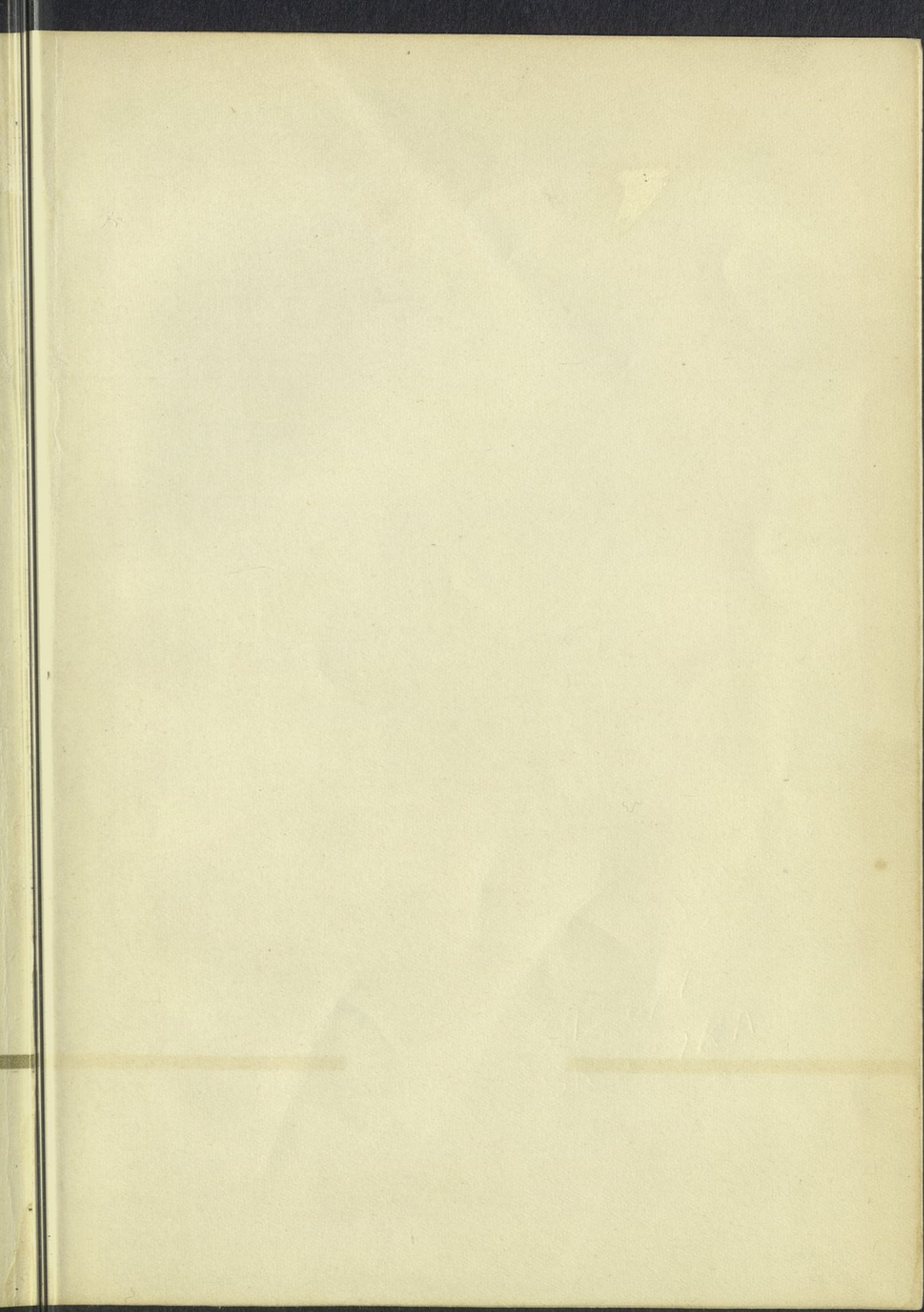


بجدة
عالم القصور
بيروت - المزرعة

301
11
4







572.71
Sh5576A

892.78
Sh5996A
C.1

بوعی

قصائد واکایزج

ادریک جریدنہی شیوب



کتابخانه اسلامیہ

۱۹۵۴



تَصْدِيرٌ

شعْرُ الحب ! يكاد يكون وحده الشعر .
تَرى ، اما آتِ اوانُ الجهرِ بذلك ؟
هذه الطفرة في الفن ، وأعنفُ ما بدأت في التصوير ،
مهددة بأن تعصف بأصول الجمال ، يَحْيِلُ اليَّ أنْ
مردّها الى اختلال في القدرة على الحب . الحب الساذج
العظيم .

— القدرة ، يعترض معترض ، القدرة على الحب ؟!
افيكون الحبُّ موهبة ؟
كلُّ شيءٍ يؤكد ذلك .

أو ما قيل : « يندر الحبُّ العظيم ندورَ العبقريّة » ؟
والنّهضات انما يلزمها يقظةٌ في عالم القلوب .
كلما كان روميو وجوليت كانت ، كما من الغيب ،

صفحة بيضاء تنهياً فيها الزلزلة . ويلتقي العاشقان ،
 فقصاصه الورق سماءً مكوكية .
 ويل شعرٍ ، ويل فنٍّ ليس غزلاً .
 وكِدت أقول : ويلٌ علم .
 هذا الانسان ما ترى كأن لو لم يشك نفسه في
 النجوم علامة استفهام : ما نحن بعضنا من بعض ، ايها
 الكون ؟ ولـ كان الاستفهام باطلاً ، لا جواب عليه لو لم
 يكن مفعماً بحب . انعطف الكون على النفس ، ومنحها
 ذاته في بَوح ، وتفتحت زناقبُ في العقل الجديب ، لأن
 السؤال تاق الى ضمة .



من حُسن الطالع ان في هذا الوجود الهاً ، وديمومةً
 بعد الموت ، وما يلزم ذلك من نشوة رؤيا فوق الوصف .
 وإلا كانت الهنيئات الهاربة التي تخطفها - وصدرك الى
 صدر حبيبك - هي وحدها ذروة الهناء .
 حتى لذتك بأن تعرف ، بل بأن تبلغ من المعرفة
 حد القدرة على الخلق ، بما به وحده تداني ماهية الالوهة ،

لا توازي لذّة الدُّوار الذي يُصيبك ، آونة تضيع
في قبلة .

الحياة بهيّة ، تقول ، الحياة فوق ما أوّملُ من الحياة ،
ما بقيَ فيها أنني احب .

لو كنتُ شاعرَ السماء ، تقول ، وأعطيتُ ان استبق
مصيري ، ودون سواي ، اشهد بَرءَ الكون من عدم ،
حدثَ الاحداث الذي له ارتعش الاشياء ، وبه وحده ،
لأول مرة ، وكَدّ ، تعالى ، انه هو الذي هو ، لغنيتُ
العملَ الاعظم بأنه طعمُ القبلة .

سوى أني كنت ، فيما بعد ، عدّلتُ من مسوّدَةٍ
قولي على انه دون الحقيقة .

من وقوع طرفٍ على طرفٍ ، بما يكونُ الشرارة بين
كائنين وُجِدا ، كما من البدء ، بعضٌ لبعض ، حتى شدّ
الازل الى الابد على ثعرين يُخمدان باللقاء صرخة
الصمت التي لا يوازيها سوى ارتجاج النجوم ، انما يقوم
اختصارُ لا لاندلاع الكائن في العدم ، بل لتشاُمخ ذروة
الوجود في الوجود . كأننا العنايةُ - المتناهيةُ الحنو على
خلقةٍ جاءت وحدها صورةً لها - انما راحت ، منذ مستهلّ

عهد الخليفة بالمعرفة ، تذييقها جرعة جرعة سلافة المقدور
الالهى من الحمرة الموعودة .

لا ، ليس الا الحب تجربة كونية . فهو وحده
طرب السذج وسكرة العباقر . ولربما به وحده يتساوى
المتفاوتون معرفة .

وهو يفتح على الطفل بمقدار ما يهب ليونار . وله الحرارة
الواحدة عند البريء وعند صاحب مفستو ، والفيض
اللامتناهى ، والسعة التي تجعل العقليين ، الطفولي والخلاق ،
يستمتعان الواحد كالآخر بالرؤية التي بعدها لا بعد :
تقبض على الوجود من طرفيه ، وتطويه كمنديل لا احب
ولا ابهى . منديل منذ أمر على عيني الحبيبة بات هو
هو الكون والدهر والفرح .

الانسان لا لشيء الا ليعرف .

ومنتهى المعرفة ان يُبدع كما من عدم .

فمن ، يا ترى ، من يسعه الزعم ان الساذج ، إبان
عشقه ، يقل عن عليه الادمغة مقدوراً على العطاء ، والخلق ،
ومباشرة المستحيل ؟

لعل الى هنا مرد مجلى السر في بعض النبوغات

المبكرة . ترى هؤلاء الصغار كانوا تحت تأثير حبّ لم يتوقعه المؤرخون فيسجلوه او يتحدثوا عن اثره ؟ كلنا يعرف ، إنّ بالاختبار وإن بما حدث به مشافهة ، أنّ طفلاً في الرابع من نيساناته أضمر لمعلمته عاطفة لا اسم لها ، وأنّ عينيه اليها كانتا تحملان صلاة ، وهو انما اخذ عنها الالفباء لأنّ كلّ نطق حرفٍ من فمها كان بسمّة خاصة !

دمعة من امرأة تحمل اليك الامر بتغيير وجه الارض ، شريطة ان يكون في الدمعة حبّ او املٌ بحب . والاملُ بشيء هو الشيء في مطلقه قبل ان تشوبه انتقاصات التحقيق .

والحبّ ، كما الارادة الثومائية ، عقلٌ . فاذا سُجِّل على الحيوان ، على عصفورٍ مثلاً يموت لموت عصفورته ، كان لا يعني دافع غريزة . إن للعقل مسودته في الحيوان وفي النبات ، وربما في الجماد . تأثّر وردة بشحوب اخرى هو نتيجة معرفتها انّ اختها على وشك الذبول . اعرف ان ليس هذا رأي البيولوجيين ، وانما قد لا يستغربونه يوماً ، متى اتسعت ملاحظة الانعطاف

بين الخلائق الحيّة على تنوّعها ، وبين الذرّات .
ومنذ اليوم يؤكّد الفيزيائيون ان المادة في نهاية ما
هي ليست مادة . يرجّح انها لن تُرى ابدآ ، ولن تُمسّ ،
ولن تشكّل حاجزآ . ان الفيزياء اكثر من البيولوجيا
تقرّب التعريف بالطبيعة من التعريف بالله . روحٌ محضٌ
هو ، وهي على التّخوم .

لربما قصدتُ من كل هذا ان اوكدّ على أصالة
الحب في تكوين الكون .

المعرفة هي الغاية ، وليست الا هي . شرط بلوغ
المعرفة ذروتها اي قدرتها على فعل الخلق ^(١) إذ لذتلك
من الوجود ان يحاكي صنيعك صنيع من اوجدك .
ولكنّ فعل الخلق ان تعطي وانت تبني . ايّ وسائج
اذن تشدّه الى الحب حتى لكأنها صنوان ؟!
لم يبنِ مَنْ لم يحب .

(١) ليس الانسان خلاّقآ أي موجدآ من لا شيء . ان هو الا
صانع (ديمرخوس) اي مُطليع شيء من اشياء موجودة . وانما
تُجري عليه هذا التعبير تشديداً على ضرورة تكاثف فعل الصانع عنده
ودنوّه من فعل الخالق .

لماذا لم تكن بنايةً في الشعر العربي ؟
بلى أحبَّ العرب . احبوا بالجسد واحبوا بالروح .
وكانت عندهم ، على ما يروون ، قبائلُ بأسرها تعشق
عشقَ الروح .

ولكنهم قد يكونون في العاطفة من غير ذوي
النفس الطويل . ان الفقر المادي الذي اوجدتهم فيه
الطبيعة وجَّهَ عاطفتهم الى حسِّ الحياة اكثر منه الى
التوف العقلي الذي يدعى الحب . حياة الجسد عندهم
لزم ان تكون فوق حياة العقل . والا ما كانوا بقوا .
اطلعوا البطل ، لم يطلعوا المحب . كانت شعارهم « العيش »
اولاً . ولربما هو الاصح في ارض بطبيعتها محرومة .
ولكن هذا اثر على نفس الحب ، اثر على البناء .
أن تكون الصحراء صحراء شيءٍ موحش حقاً . اما
الا يكون هناك ديوان غزل فوحشة لا تطاق .
وكان على بلاد الانهار ، كبغداد ودمشق والقاهرة ولبنان
باسره ، ان تردَّ التحدي .

هل فعلت ؟

لكان في مكنيتها ذلك لو انها - حتى في إبان انتقاضها

على القديم - لم تَظَلَّ عَيْنُهَا فِي الْقَدِيمِ .
امرؤ القيس الصخراوي يسكن كالجنّ كلَّ قلمٍ عربي
الهوى .

آنَ ، اجل ، آن لنا ان نتغزّل .
بدءُ ادبِ الغزل هو بدء البناء .
منذ يوم غير متقادم - غنيتُ اطلالةَ الثلث الثاني من
القرن العشرين - بدأ الغزلُ حقاً تحت سِقِّ القلم العربي .
واني لأتوقعُ له انطلاقاً بهية اشبه شيءٍ بأخذ ثار .



ادثيك جريديني شيبوب واحدة الخواطر الشهمة في
ذهن الغزل . برّت به يوم كانت في البادئين ، وبرّت
به اكثر يوم ارادته لفحاً لا ناراً واناقة لا بذخاً .
هذه الشاعرة الطلقة كربيع من لبنان لم تنتظر ان
يدعوها الغزل . لقد قصده . من هنا مَسْحَةُ الطرافة
في بثها البهي . كانت المرأة في لبنان موضوعَ وحي .
كان القلم النسوي لِيُعْشَقَ لا لِيَعْشَقَ . حتى كانت ادثيك .
سوى انها ، على النقيض مما يُظَنُّ ، لا تنادي الجيب .
حسبها ان تقول الحُصْرَ ، والعنق العاجي ، والشوق ، والهنية

الهاربة ، حتى تبعث الرعشة في الرجل ، ويكاد الصخر ،
والهواء ، والافق المتنزّل تتحرك جميعاً اليها .

في هذا العصر الذي طالعنا فيه الشاعرات جأعات الى
الحبيب ، اكتفت هي بأن تكون . فكانت ثورة .

أي ثقةً بالحسن الانثوي ؟ أي إعادة ايمان بالرجولة ؟
تري ، منذ متى لم يعد يكفي الرجل ان تقول له المرأة
حضورها ليخيف ؟

رسالة الغزل الادفيكي عميقة اذن اكثر مما يُظن .
إنها قد تحدث مذهباً .

كان الادب النسوي يتطلع الى التفرّد في شيء حتى
يحصل على حقّه في الابد . او يكون قد حصل عليه
بعد ادثيك ؟ من يدري ، من يدري ؟

يمكن ان تنزل في الواقع ان الغزل عندنا قد غنيَ
بها . بات له وترٌ غريبُ النقرة . وترٌ من غير هذا
العصر ، ولكنه متأخذٌ معه يوماً ، كما يتأخذ - اذا امكن -
بنفسجٍ وسنديان .

أو تنتصر البنفسجة ؟

ان الشيء لا يكون ما لم يكن عجباً .

هذا الإلماعُ المكتفي - وهو قوامُ الجِدَّةِ في أسلوبها -
هذا الفن القائم على محو الذراعين الممدودتين وعلى خنق
الصخب المتلوّي ، لكم يطيب لنا ان يولدَ في لبنان
على يد امرأة ؟
لن تُطْلِعَ الامزجة 'اجملَ من الكلاسيكية ، ولا اوقع ،
ولا آخذ .

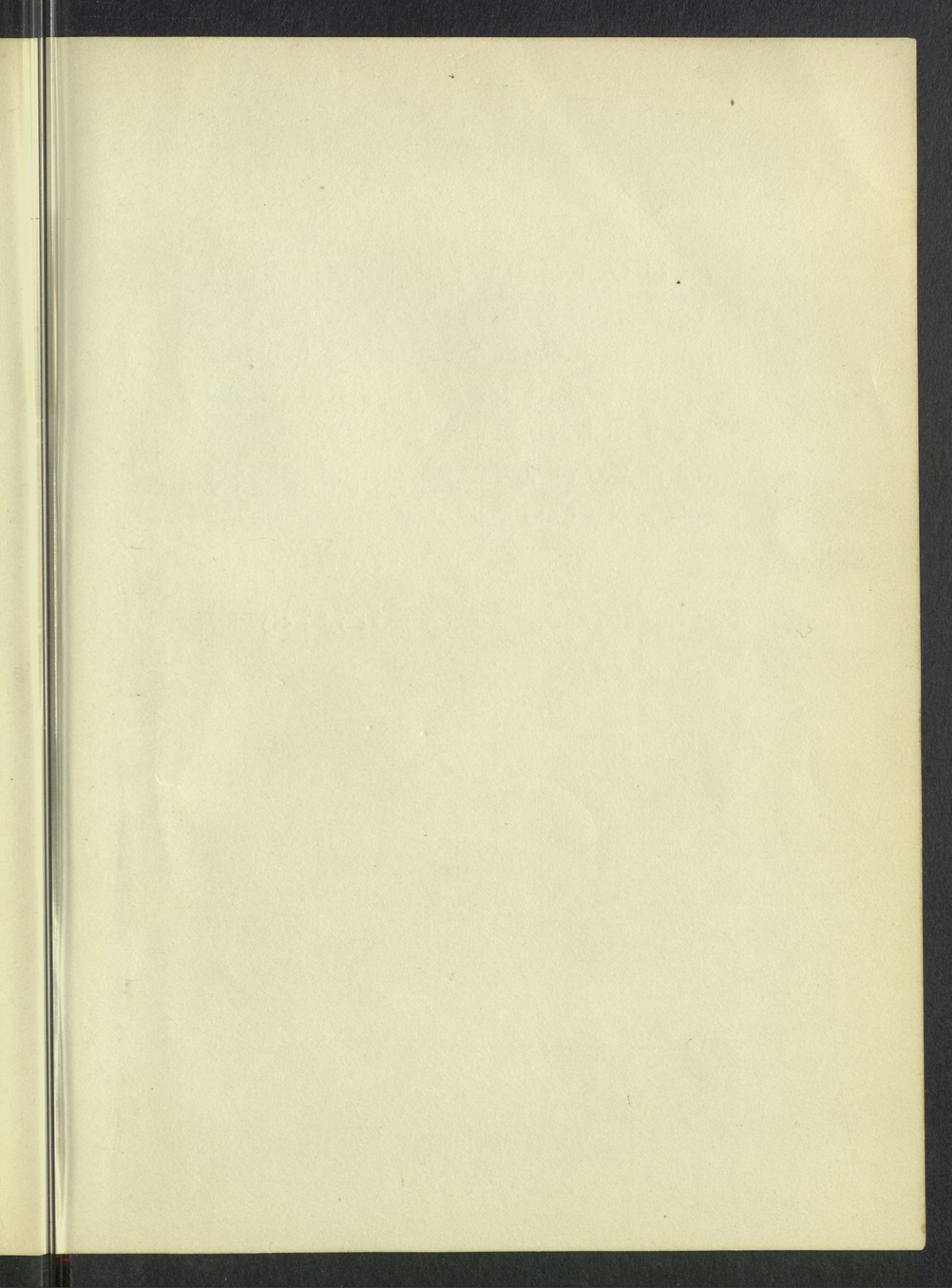
ان الارتجاف الذي يشدُّ الحصة الى النجم هو نغم
هاديء ، ولأنه هاديء يعمق حتى ليرُجَّ في الكيان .
تُرى هذه الشاعرة تغني حبيباً ، ابَ طفليها مات في
عمر البطولة ، ام حبيباً آخر يرميها لماماً وكأنه طيفُ
او امير ابعاد ، ركَّبته جُزءٌ اجزءاً امن واقعٍ ومن حُلم ؟
مَنْ يدري ؟ ومن يجرؤ ان يَلِجَ قدسَ حَرَمٍ في هذه
الشفافية ؟

كل ما نعرف من بوحها ، النضرِ على غنى ، الموجع
على صفاء طويّة ، اللؤلؤي على توشح باغوار مجهول ، ان
هناك لطافة نفس غير عادية ، وشمل عمر جمّ الالام
والخواطر ، وانتداب ذات الى عبور الحُضم الصعب ،
تصهرها جميعاً نبضة قلب ابدئي الطفولة ، يلهو بالنار ،

يلهو ولا يرعوي . حتى ليخيّلُ اليك ان قصيدة ادثيك ،
منذ هي فلذُ قُدّت بتردّدٍ و ارادةً معاً ، الى ان اصبحت
اغنية غنوجاً تتسارُ بها الفتياتُ متنهديات ، انما هي شيء
اجلُ من الحياة لانها لم تصغ فقط الى صوت الحياة .
في نهضة الغزل غداً - تلك التي ستلازم اليقظة الكبرى
في بقعة من اجل بقاع العقل - لا بدءاً ان تُذكر غزارة
شبهة الطرافة بُرِيت على اسمِ نفسها ، آيتُها - إن جرت -
أنها حبٌ ولا صرير .

زحله ٤ تموز ١٩٥٤

سعيد عقل



بَوح

مادَ الكون بي ، كما في مَيْد الشُّكر ،
ساعة قلبي جُنَّ في خفقة -
وايُّ معنى يبقى لهذا القلب ، يوم السنون توهنه
فيشيخ ؟

وهل لذة العيش في عمل جديب موحش :
لا طرف يتيه في سماء طرف ،
ولا انفاس تنسكب محرورة في أنفاس ،
ولا قلب يصرع في ضلوعه ... تَوْفًا لقلب ؟ !



في غمرة الذكريات انا - ذكريات حبٍ سرمدٍ
النضارة .

لكاليوم ، في فمي مشتاه ...
بالعُنق مرفقي يلود ، تأجُّجَ شَوْق ،
وعلى تكسّرِ الاهداب لفحات حُرْق ،

اتحدّى الزمان والمكان ،
في انطواءٍ مكثفي ...

*

ماذ أُريد ، ماذا اريد ??
تطويقَ اصابع على الخصر ،
وهمس الشفتين في بوح ،
واستناداً الى رأس ، ولا كالرؤوس !
وان يعرف يقيناً ، أن معنى العمر - كلّ معناه -
تمتّع في ظلّه ، وإسارٌ بنبيرة صوته ،
تنبعث دافئة من قرارٍ هادئٍ عميق ،
فتعصف بوجودي نشوة محبّة ،
« نعمة الحياة الحب » ، اقول .

*

اتراني كثيراً اردت ؟
كيف لي ان افنع بالاقبل ،
ومع احلامي الوهاجة المتقدّة ،
أفيء الى صقيع دنيائي ؟ !

زُورَة

اهكذا سريعاً ، تخطُفُهُ وتغيب ، يا طيفَه ،
فتغصُّ الاغنية الرقَّاصة ، حائرة في فمي ،
وتختنق في قلبي ؟!
لا ، لا تقلْ كان حُلماً ساخراً وراح !
فيدي هذه ، كانت الى برهة ، في يده ،
وهُدِّي على هدبه ،
ووسائدي للآن ، شدَّياتُ بطيِّبِ عرقه !
لا ، لا اصدق انه حلم !
الى اين حملته ، وطِرت به يا ليل ؟؟



شوقي اليه ... ما عانته قبلي امرأة !
لكأنه جمرٌ مستعِرٌّ في العروق ،
لا يهدأ له احتراق .
اتلوَّى منه في انينٍ مكبوت ،

كأنّ كلّ ما بي ، ليس بي !...



ماذا اقول بعد ...
في عطشٍ لا يرتوى ،
وفي جوعٍ لا يشبع ،
وتوقٍ الى تزهةٍ منفردة ، تطول ،
والى حديثٍ عن الحب ، لا ينتهي ??
وهذي العوالم الشاسعات بيننا ،
تري اين منهاها ؟
ما اقلّ راقعتها ! ما اظلمها !



زورتك هذه أعدّها —
رجوتك ، اعدّها ، يا طيف !
لا تلمّسن بهاتين اليدين ،
جسده الجميل ،
واطبق جفنيّ على روعته ...

قَدَر

... اتَّجَهْتَ العيون كلها نحو الشيخ الغريب ،
مُكَبِّبًا بلحيته البيضاء ،
يَفْكُ باهتمام ،
رموز الكفِ المبسوطة في كفه !
والفتيات خفقن الى الركن المضاء ،
مشرَّبات الاعناق ، متدافعات .
وهل من فتاة ، لا يشوقها ان يداعب سمعها
خبرٌ من عالم الغيب ، عن امير احلامها ؟



... وتوالت الاكفُ الطرية ،
تتناوب راحة الشيخ الغريب -
يغمغمُ رؤاه ، بشيء من غموض والهام : -
« ثراءٌ خلف بحر ، سعادة وحب ،
... حظ عاثر ... اعتلال بعد التحسين

عمر طويل ... »
كومة واحدة ، تجمعت الرؤوس السوداء والشقراء ،
في ارهاف سمع ، غريب على امثالهن !!

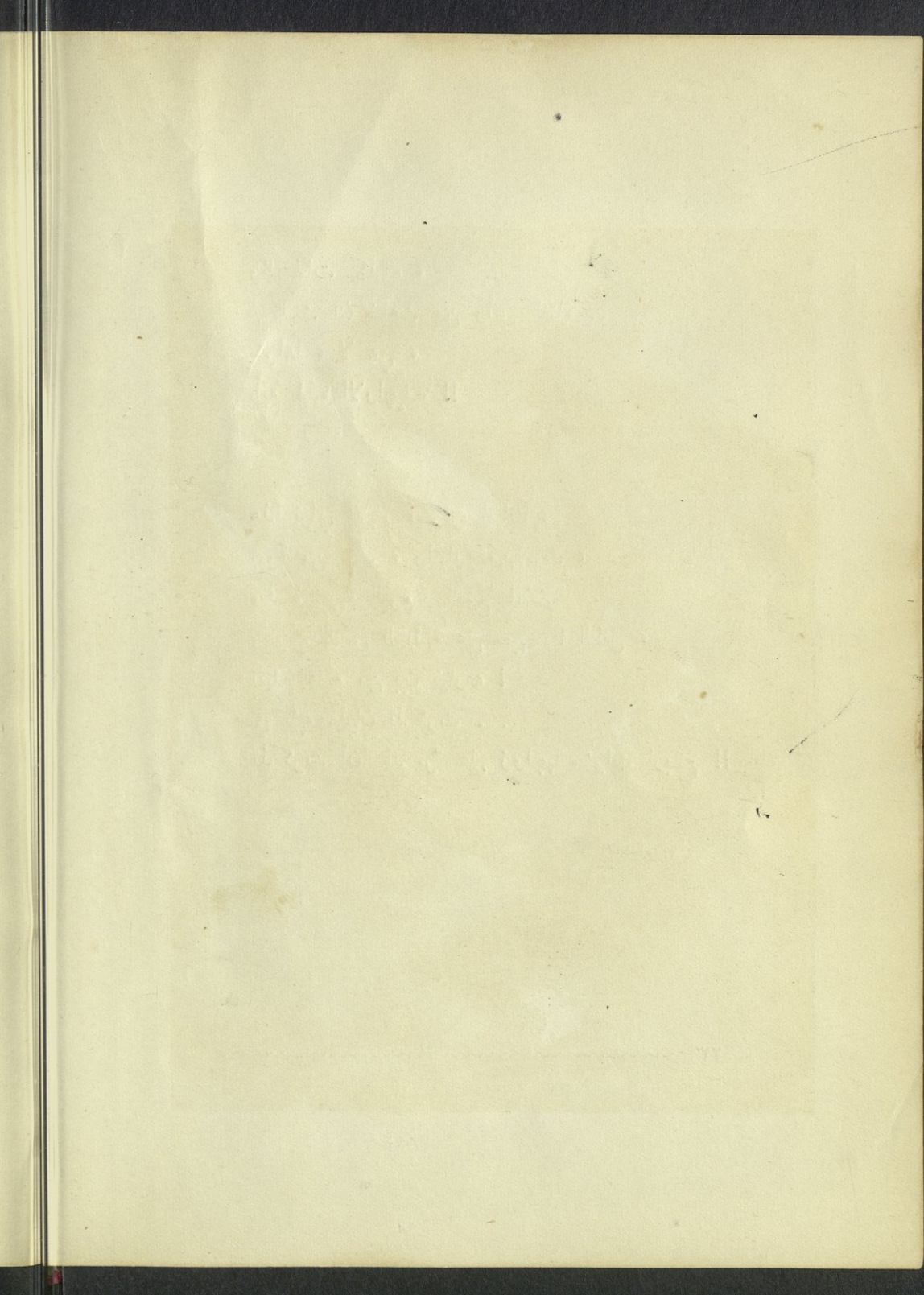


... جاء دورها - صغراهن !
فبسطت كفها ... وانصت الكل .
عقد الشيخ حاجبيه ،
كان شبحاً خيفاً طالعه ...
ثم حدّق في الوجه الهادي ،
وفي العينين الخاليتين ،
وقال في تمتمة رصينة : -
« زواج قريب ...
وارى في حياتك ، بعد السنوات الاربع ،
تجهّماً وانقلاب عيش ...
قد يكون فقدان زوج !! »
وأفلت اليده من يده ،
كان لم يقل شيئاً !!

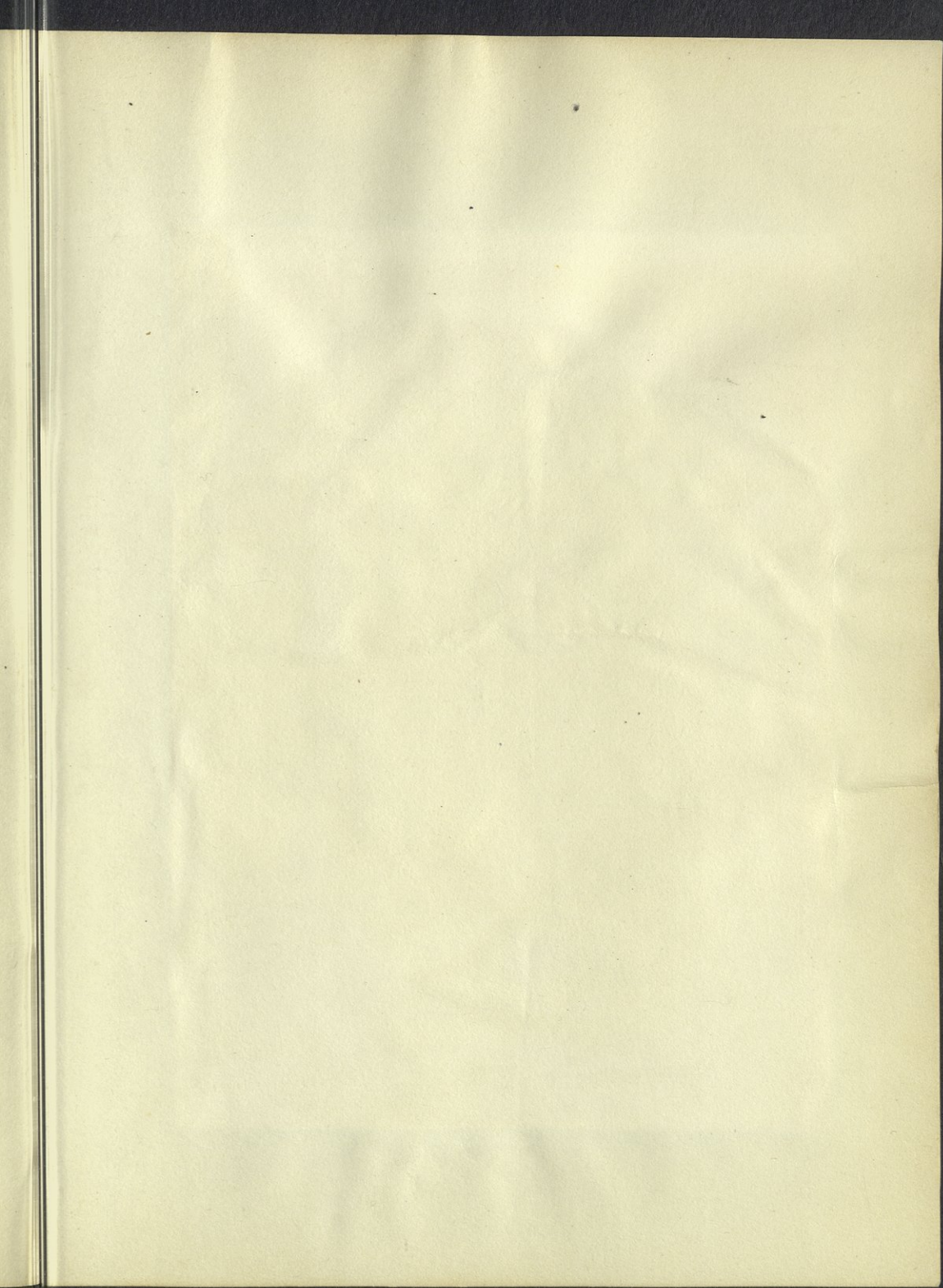
والكلمات كذلك ،
لم تلبث ان ضاعت من رأس الفتاة ..
سواها ، لا هي ،
يأبه لهذه الارجيف !!



هذا توالي الايام ، يوفر لفتاتنا ،
بحراً من حب ، وانغماراً من سعد ،
وفجأة يجيء اليوم - اليوم الاسود -
وهوت الفأس الطائشة على جبهـا الطفل ،
تقتلع قلبه من بين ضلوعه !
في شبه هذيان تذكرت ...
تذكرت أن قد مرّ على زواجها سنوات اربع !!







بَحَّار

الى اين انتَ شاردٌ بزورقِكَ الصغير ،
أيها البحَّار ؟
اما ترى الانواءَ تكاد تطوِّح بك ..
وهذا اليمُّ المَدَّار ، يَهْمُ بأنَّ يبتلعَكَ ؟
ويا جزعي من عوالي الموج ،
تَجرُّ حولَكَ ، وتعالى ...
كأنها تتباهى بسطوتها عليك !
ثم لا تلبث ان ترتطم بكبرياء ،
فوق الصخور الدهرية ،
على الضفة القريبة .



ايُّ غويٍّ زَيْنَ لك ركوب البحر ،
في هذا اليوم المجنون ،
والمخاطرة وحدَكَ في الزورق المترنِّح ؟

هل ضاقت نفسك بالناس ، وبضوضائهم ،
فوجدت الراحة في احضان البحر ؟



واخوفي عليك ،
تضرب بمجذافك زبدَ الماء ،
وجَنَاح العاصفة يضرب شعرك وقيصك .
هل لصفحة الماء الرجراجة ان تعلم ،
وهي شاخصة الى وجهك السادر العبوس .
هل لها ان تعلم ،
ما تكتنزه نفسك من وحدةٍ والم ??
الا حوّل وجهك نحو شرفتي ، أيها البحّار ،
ترَني وحيدةً مثلك ،
وبي من الالم ما بك !
زورقي الذي كان يحملني بدلال -
عبر هذا البحر ،
تحطّم من سنين ...
فبقيتُ هنا على الشرفة ،

اكتفي بالتطشع الى الناس ،
يمرّون بزوارقهم دوني ،
فتأبى عليّ كبريائي ،
مرافقتهم او اللحاق بهم ...
وتتوالى الليالي الموحشات ،
وانا في غمرة الحرمان الأنوف !

*

هل في حكايتك ما يُشبه حكايتي ،
ايها البحّار ??

دَرْبُ الْحَيَاةِ

... أَتَذْكُرُ ، يومَ كانت شجرات اللوز في جلالينا
عرائس ،

كيف كنت تسابق اترابك ، تتسلق الشجر ،
لتنقي اجمل برعمة ،
تشكثها على مفرقي ،
زاعماً ان مكانها هناك ابهى ؟!



اتذكر يوم انطلقت اثر فراشة اعجبني لونها ،
لتحملها اليّ خفاقة واهية ؟
الم تكن مجازفتك تلك لوناً من الرجولة يرضي انوثتي ؟!
وعمر قلبك بحلم ورديّ بعيد ...
لكنّ دربك في الحياة لم تكن على دربي !



... ويوم تقيّأنا شجرة الخرنوب ،

غير آبهين لوهج الظهيرة ،
 نطالع ابياتاً من الشعر ،
 جاوزت الافهامَ معانيها ؟
 وفيحاةً لامس رأسك الاشقر خصلةً من شعري
 اتذكر ، كيف احجيتُ عن القراءة ،
 ولدافع مبهم ، تركتك وحدك واجماً ،
 وهرولتُ الى امي اجتمى في حضنها ؟..
 ممّ هربت ؟ .. ولمّ لم اعدُ اليك ؟!..
 وطال انتظارك تحت شجرة الحرنوب ،
 حائراً ، شارد اللب ،
 تعالج لحناً لم تكن تجيده ،
 وتدغدغ حلمك الوردي ...
 لكنّ دربك في الحياة لم تكن على دربي !



... ويوم تلقيت منك اول درس في الصيد -
 يا لمهارتك في الصيد !!
 عصافير ضيعتنا جميعها كانت تحشى بندقيتك الصغيرة !!

أتذكر اذ وقفت خلفي ،
تشير بوشوشة حلوة الى نجأ عصفور ،
اولانا صدره في غفلة لا مبالية ؟! ..
لماذا ارتعشت كفتاي من قبضتك ،
ومن انقاسك على عنقي ؟!
اكان ذلك من نصيب العصفور ،
الذي انتفض من الصوت ... وطار ،

*

... والتقت اعيننا في ضحكة ،
وبالضحكة نجونا ...
وبعدها ، عندما تعددت مشاويرنا مع الفجر لنصطاد
العصافير في الجبل ،
صرت اتحاشى التوكؤ على ذراعك ،
والاستعانة بقبضتك القوية على تسلق الصخور ،
والقفز فوق اشواك البلان ؛
وكأن شيئاً في قد تفتح ،
وكأن شيئاً في اعماقي قد استيقظ !!

*

... وثمة مرة واحدة ،
لم تبسُّ لي بما ضجَّ في اعماقك ...
وبغريزتي كنت اهجسُ ان يوماً سيبيء ،
لا يفصل بيننا ليل ،
لكنَّ ايامنا التاليات سخرت منك ومني ،
وقدّر حلمنا الوردي ان يحتنق في مهده ...
.. لان دربك في الحياة لم تكن على دربي !

لهوة الطفولة

عرفتها الدرب ، عرفتها من مشيتها الحفيفة الوئيدة ...
ولم تعرف الدرب ، لا قبل ولا بعد ،
مثل تلك المشية الايقاعية ،
يرافقها رقص الحصل الشقراء ، على الجبين العريض !



لم تكن صغيرتنا وحيدة ، ذلك الصيف .
كان لها رفيق ، يزيدها اصبعاً ،
يغدوان معاً الى الوادي ، يسبقان الفجر :
هي لتكحل عينيها بأولى شعاعاته ،
وهو لينسل من خيوطه البنفسجية ،
شريطة يزّين بها رأسها الجميل ..!



وكانت تنتهي بها الدرب ، عند تينة عجوز ،
يغلّان بين غصونها المتعانقة ،

لا يخرجها منها الا زعيق واحتجاج عسافير ،
وصوتُ ناطور ينفدُ عليهما من علٍ ،
من عزاله على الربوة ...
اما لهوَتُهما المحبّة ، فكانت بِحَّ الخناجر ،
فالانصاتَ الى موجات الصدى ...
تتتابع متجاوبة صافية ، حتى تتلاشى ... وتموت .
... لكم سَمّ الصدى هذه اللعبة الرتيبة ، ولم
يسأم الصغيران :
صباحاً ، فانصاتا ... ثم ضحكاً أيّ ضحك !!!



وتعود اليوم صغيرة الامس ،
يلفُّها من الهمّ وشاح ،
فتعرف الدربُ وقع خطاها الوئيدة ،
وتتملح حباتُ التراب مرحة ...
ويهمُّ الوادي بسؤالها عن رفيقها الذي كان
يزيدها اصعباً ..

ويجيم الصدى ، ذاكرًا رنة الضحكة المزدوجة ،
تلك التي كانت ، ذات عهد ، تدغدغ الوادي
كل فجر ...

اصحح انها انقضت الى غير عود ??

وحيُّ الحبِّيبِ

... مَنْ ذا قَادِكْ في دربي ،
واجلسك خطوة من مكاني ، ايها الغريب ! ..
ولم نلبثْ ان افترقنا —
لا انتَ عرفتني ، ولا انا عرفتكَ ؟!
اراك نهبَ دُهولٍ وحيرة !
لقد شقَّ عليك التوفيق ،
بين مظهري الرصين ، ونظراتي الجريئة الجائعة ،
تلتهم عينيك وجبينك ... وشعرك !
سبحان من خلق هذا الرأس —
هكذا نبيلًا عاليًا !



من تكون ايها الغريب الذي توارى سراعاً في الزحام ،
تاركاً عينيَّ تعدوان خلفه عدوَّ المستقيل اليائس !
الا غمرت قلبي ، قبل رحيلك ،

بدفقة من اشراقة طلّتك ،
لاحق برهة في دنيا الفراديس البعيدة ...
حيث احببي ؟!

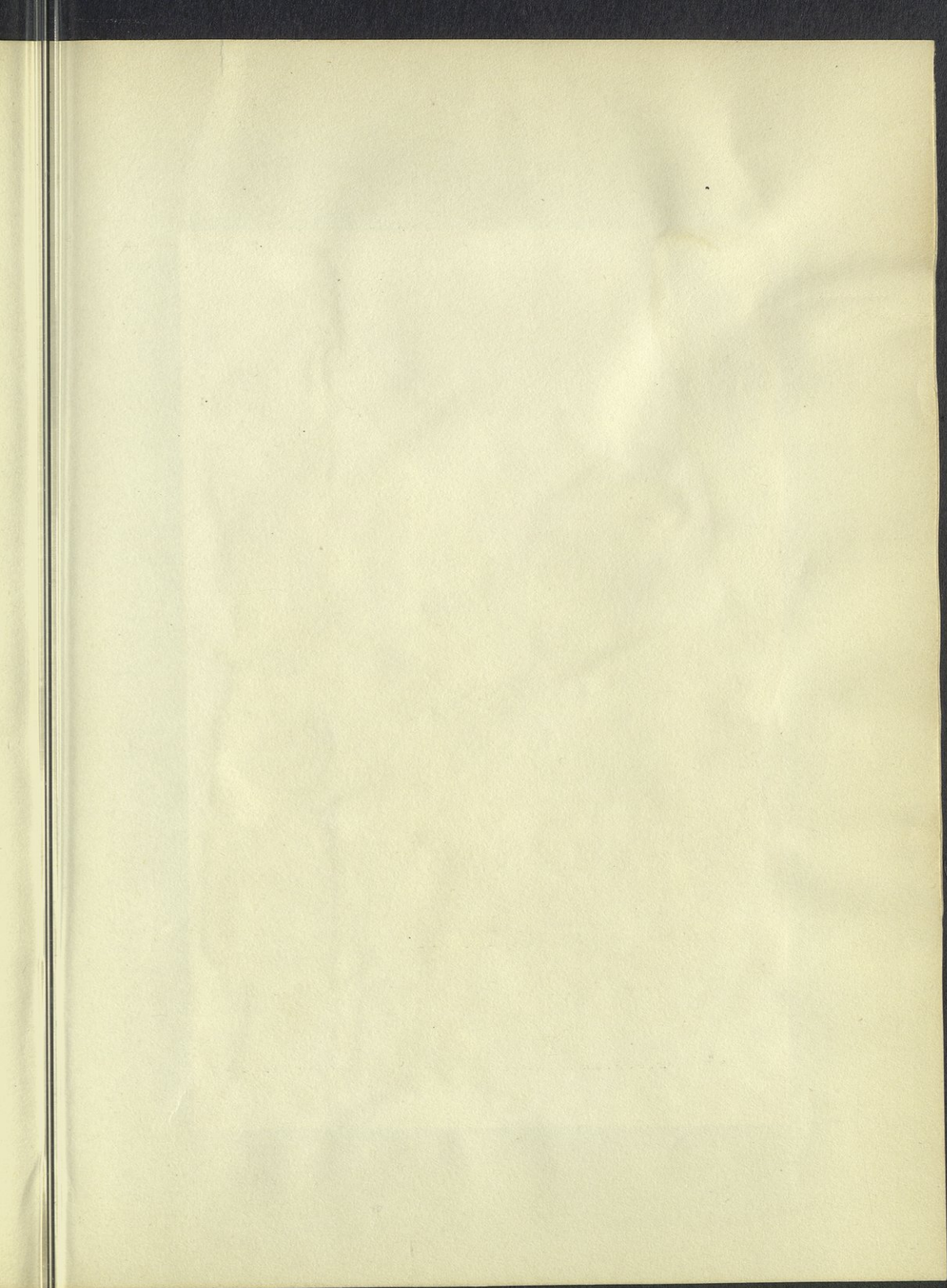


ايها الغريب ، الذي عصفتَ بقلبي ، وانتثيت ...
ولم تأبُ لي ، ولا انا عرفتُ من تكون !
ان جرس صوتك يحلو لاذني ويسطو على حواسي .
يا لغرابة الصدف ! حتى نبوة صوتك تشبه صوته ...
وشفتاك عندما تنفرجان في بسمه !
ناشدتك ربك الذي تعبد ، الا تضيقَ بي ذرعاً ،
وان تدعني اتمتع بقدسية هذه الهنيهة ،
واتملّى من النظر المريح الى مدى عينيك ،
والى جبينك الاسمر العريض ... وشعرك الفاحم !



يا ذا الغريب الذي اقتحمتَ قلبي ، دون علمٍ منك ،
وهالك في قرارته تصيمٌ رائع ...
كأنه انعكاسُ وجهك في المرآة !!





حكاية عمري

حدّثني حديثه يا قلب ،
فملء جوانحي اليه ،
استفاقة شوق - ايّ شوق !!
أعد على مسمعي حكاية عمري معه ، يا قلب ...
سنوات اربع !..
اياها كاشراق الضوء على ذرى صنين ،
ولكل ليلة من لياليها زغردة عرس ،
للسعادة فيه ، ايّ مرتع !



وفي عمى حبنا ،
حسينا هناءتنا هذه رفيقة عمر ،
ستغمر شبابنا غمراً رقيقاً ،
وتتواكأ على عكاز شيخوختنا ،
في ايّ سراب خادع عشنا !!

« وكيف هوت الفأس الطائشة ، في الساعة السوداء ،
على حبنا الطفل ، تقتلع قلبه من بين ضلوعه ... »
يا ويحها !!
يا ويحها ما فعلت ؟
من يجرؤ على النظر ؟
من يجرؤ على السَّمْع ؟!
وكيف افقت أرتعد ،
وبي ذهول الأبله ، لا يابه لشيء ...



هل سمعت يا قلبي حكاية الصنوبرة الجبارة في « مطل
الشويز » ،
كيف شطرتها الصاعقة في ليلة هوجاء ،
شطراً احترق وييس على الخضض ،
وشطراً بقي ،
في شموخه الصامت ،
ينزف دماء توأمه الميت
أما عويله ونحيبه ،

فقد لفلفته العاصفة بجلباب ولولتها وصخبها ،
وحملته بعيداً ... بعيداً عن سمع بقية الصنوبرات
في المطل !!

*

هذه حكاية عمري معه ...
اجل ، لقد عشت بعده ،
انما عشت انسانية ثانية ،
قلبها مغلفٌ بجليد ...
... كل املي الآن :
زغولان ،
متشبثان بي ، يحببان اليّ الحياة ،
عندما يُطبق اجفانهما النوم العميق ، في الليل ،
اجثو عند سريريها ،
استطلع في وجهيهما بشوق ،
ملامح حبيب غاب ،
واستعيد في خاطري ذكريات سنوات اربع ..
هي ذروة سعادتي ، وذروة حبي !

الحكمة الباقية

أذكرُ يا جدي ، اذكر جلستي القلقة على حافة سريرك ،
ويدُّك المرتجفة تداعب خصلات شعري ، على جبیني ...
وعيناك الكفیفتان تحاولان بجهد ، رؤية ما لا يُرى ..
وقلتَ لي آنذاك :

« هل نحن وحدنا ؟ .. سأفضي اليك بشيء ،
فاحفظي يا صغيرة هذا الشيء ، حتى تكبري ،
احذري الرجل !! »



مرة واحدة ، لم ترفَّ عيناك ،
لأنها تُسمِّرتا الى وجهك المتجمِّد ،
انصت بكل جوارحي ، جاهدة ان افهم وصيتك ،
بكل ما في سنيَّ السبع من فهم ...
وحفظتها جيداً كما طلبت ،

لكن معناها البعيد أُغْلِقَ علي ...



توالت سنوات ، شُيِّتُ معها عن الطوق ،
واصبح لاتصلاقي بالناس معنى جديد ...
ورويداً رويداً ، بدأ مغزى وصيتك ينجلي لي ،
ويتسلل الى فهم الصبية اليافية ، التي انا ...
فبنيت خطأ دفاع منيعاً ، بيني وبين الجنس الآخر ،
الذي اوصيت بعدم اثباته ،
ومشى شعورُ التحفظ والحذر معي ، طوال مرحلة
صباي ،

فكنت كلما خفق قلبي لقلب ،
أو شَعْتُ في عيني عينان ،
خَبِلَ اليَّ ان هاتفاً من الغيب يهمس وصيتك في اذني ،
فأرتدَّ ... وامتنع !



واليوم ، اذ ارمقُ ماضيَّ القريب ،

واقدر مدى الحرمان الذي عانته ،
أحسُّ بشموخٍ واعتزاز ، وبانتصار على التجربة .
يقولون : إنها « الفضيلة » - اما انا فاعرف يقيناً ،
ان مصدر هذا الانتصار هو انت ...
هو وصيتك يا جدي ،
التي ما تزال راسخة في قلبي ... رسوخ قلبي ،
وسأقلها يوماً الى صغيرتي ...
حكاية تحكى ...

الشموع الست

يا حلالة تلك الذكرى ، يا ولدي !
ما اغلاها على قلبي .
مرّ عليها خمس سنوات ... وكأنها الساعة : -
انت امامي ،
في ضمة من رفاقك
تستطيل على رؤوس قدميك
لتطفئ ، بنفخة واحدة ،
شموعاً ستاً -
اضأتها انا على كعكتك !
واذ وقفت حيالك اراقب ،
لهب الشموع اللاهثة ونشوة الفرح ،
تتألقان وترقصان ، في عينيك ...
راود رأسي ، حينذاك ، حلم لذيذ ...
قلت : حبذا ... يا حبذا ،
لو كان عدّ هذه الشموع احدى وعشرين ،

اذن ، لاستطلت انا على رؤوس قدمي ،
لأصل بشفتي ،
الى جبينك العالي ،
واطبع عليه قبلة ...
قبلة وحيدة في القبلات !

تَفَتْحُ الزَّهْرِ

... عيني عليها - بنيّتي الصغيرة ،
تتغاوى والمرأة ، وجهاً الى وجه ،
الساعة تلو الساعة ... ولا تملّ ...
عيني عليها ، أَسْتَرِقُ اللّحْظَةَ تلو اللّحْظَةَ من خلفِ
كتاب ،

وهي امام المرأة ، بطولها ،
تستنطقها برنؤة فيها استطلاع ، وفيها شوق ...
تحتال على سنيّها التسع بثوبٍ راهٍ فضفاض ،
وبزّار يشدُّ الحصر بقسوة ،
لعلّه يُبرزُ شيئاً هنا .. وشيئاً هنا !



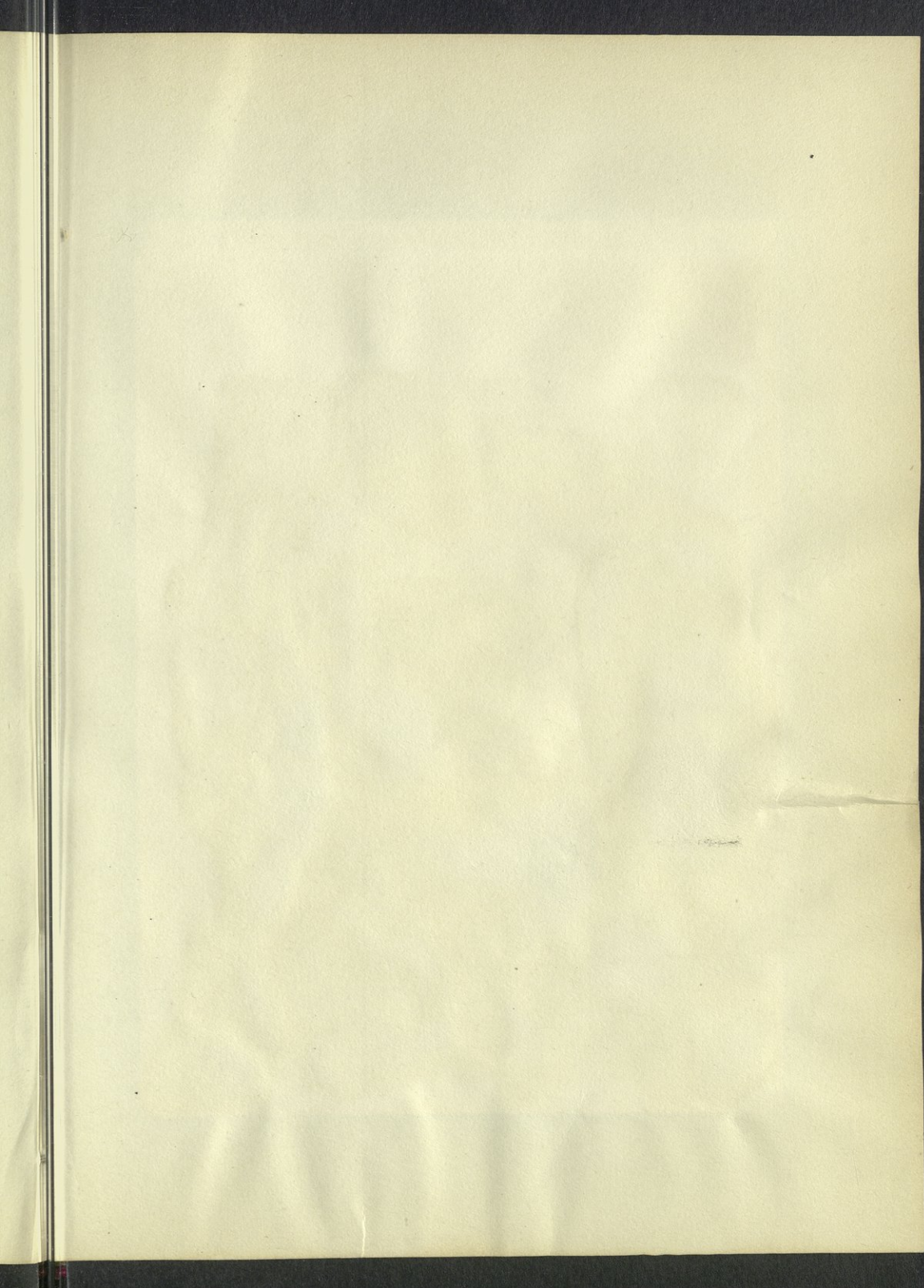
وتسألني بنيّتي ، في دَلِّ الانثى ، وهي شاحخة ،
تعالج شعرها بيد ،
وتداري بالثانية رهاوة الحرير المسترسل ...

- وتستطيل جهدها ... على منتهى اطرافها : -
 - متى أصبحُ مثلكِ يا ماما ؟
 - كيف ؟
 - متى يُصبحُ لي ... مثلُ ما لكِ ؟



بنيّتي الصغيرة تستعجل السنين ...
 ضائعة ... متدمّرة ...
 متى تبدأ اكمالُ البرعمة الندية ،
 بالتفتُّح والفَوْح ..
 فلا تعود بنيّتي ... نكرة ،
 لا عين تعلق بها ... وتشهّها !!؟





فريق الغدوة

... كأنك والفجر على موعد معي يا بلبل !
اسبقك خطوة ، او تسبقني خطوة ...
فاتسلل الى الشرفة ،
وأشرّب ، على رؤوس قدمي العاريتين ،
مرهقة سمعي الى كرات لحنك :
في انطلاقه الشجي ،
وفي تساؤله وتقاؤله ،
محدقة بك : فرفرة مغناجاً ،
وتأرجحاً على حفاف الفصون ،
تحوك بعنقك خيوط الشعاع البكر ،
مداعباً بالمنقاد الادق ،
خوافي الجناحين المسوحين باللون المندى ..!
ويا الله كيف ينصر قلبي اذ تغصُّ باللحن ،
وترسلها صرخة منفعة ،

فيها وجع ... وفيها فرح !
وساعة تُفْلِتُ حنجرتك على المدى ،
لكأنك ملكٌ على عرشه !
لمن غناؤك - يا بلبل -
ألفجرٍ أم لي - رفيقك الوحيد ؟!



أطلقها يا بلبل - نعمة رقاقة صافية ،
تتأوج مع غلائل الفجر ،
ومع همسات السكون الهاجع ،
وتنصبُّ كلُّها في قلبي !!
لأنني احتاجك يا رفيقَ الغُدوة ،
احتاج نغمتك المؤاسية ،
تهدي أعصاباً حسّاسة حطّمتها ارقُّ الليالي !
اطلقها يا بلبل ... غنِّ لي !
فرفيقنا الفجر لاهٍ عنك وعني ،

يغمر العوالم ، النائية والدانية ، بفيضه النوراني ...
ومع كل شفق احمر ، تُطربه اغاني البلابل والحساسين
في الحمائل والعُدران ...

فغنّ انت لي ... لي وحدي ...
وامسحْ جراحَ قلبي بنغمتك الطرية .

غَمُوض

في الليل المدهمّ العميق ...
أفيء اليك ... الى ذكرياتك البعيدة ،
تلفّني الظلمة الثقيلة ،
وعليّ تطبق الوحشة !
واتذكرُ ، كيف كنت تبدّد قلقي ورّوعي :
بلمسة خفيفة من يدك ،
ببسمه من فمك المشرق ،
وبنكتة طريفة مداعبة .
الله ! كيف كانت هواجسي ومخاوفي آنذاك ،
تتضاءل وتروح ... كلّها :
وتعود الى عيني نجمات سعادتها الفمّازة ،
ويعود الى قلبي رفيفه ورقصه ،
واحمدُ ربي ، .. الذي زرعك في قلبي هكذا ،
حتى امتدت جذورك وتشابكت في عروقي ،

وامتزج ماؤها بدمي ...



والان ... يتراءى لي بين حين وحين ،
ان غريباً يُطلُّ على هذا القلب ،
لِيَسْغُلَ مكانك المهجور ...
لكنه لا يلبث ان يرتدَّ ...
فالمكان اما صغيرٌ لا يسعه ،
او كبيرٌ يضيع فيه ..
... الا كشفت لي عن هذا الغموض ،
ايها الحبيب الغائب ؟!

ضلال

... رددتَ الى شبابي يا هذا ،
زهوة شبابي ، وفرحتَه ،
وقبل ان يلتقيكَ ،
كانت ايامُه ولياليه ،
يباساً وجذباً !

*

أمرُ بك عجلي ،
وتصافح عينك عيني -
فكأنَّ دنيا من الوحشة المقطبة ،
تنزاح من دربي ،
واقترح بوابة قلبي ، وأردُّها عليك !

*

أوليس عجبياً ان يحدث هذا كل صباح ،
وانت بعدُ غريب -

قد تكون تنساءل عن اسمي ،
كما اتساءل انا عن اسمك !!



ضئينة بسرّي انا ،
حتى عنك ، حتى عن نفسي !
اضئنه على حذر ، شأن ما غلا وعزّ
اكتفي منك بالنظرة ...
استرقها في هنيهات غفلتك ،
فينعشني رفيفٌ حلوٌ ،
ويدبُّ فيّ نشاطٌ ،
كدت انسى طعم رعشته !
اكتفي منك بالتحية المهموسة ،
اردّها ايماءة ...
فيسري جرس صوتك في دمي -
زغرودة صامته !



.. في الليل ، لجّ بيّ الشوق ،

فأبت الى قلبي ،
أسكتُهُ ... أعاتبه : -
« كُفَّ عن خفقاتك ، يا قلب ، حرام عليك !
لقد أوجعتني ... لقد أضللتني !!
ان كان ثمة حب جديد يتوعرع بين جنبيك ،
فاصرعه الان ... قبل ان يقوى هو عليك .
خير لك ان تقطّع اوتارك وتحققها ،
من ان تستمرّ في لحنك اليأس ...
اما ترى - ويحك -
الخاتم الذهبي على إصبعه ؟ !

رأس ..

... أطال الفنان الرُّنُوَّ الى رأسها المدلّ ، رأس
المرأة الشاعرة -

نظراته الحاملة تلتهم وجهها الشحوب برهافة وتأمل :
بين صفحة خدها والجبين ،
وبين عينيها والانتف ،
وتحطّ قريرة على العنق العاجي ...



« هذا الرأس » ، قال ،
« سيخلد في الرخام ، تحت ازميلي وانا ملي ،
ساعرف كيف انثر خصل الشعر الحائرة حول وجهك ،
رشّ بنفسج برّي ،
للأذن من تحته طلة هلال طفل ...
وسأعرف كيف الاقي الجفنين في شبه غمضة ،
فلا يبدو من فتون عينيك الا رموشهما ...

وسأبقي الجبين هكذا ... عالياً متحدياً ،
ويا لرعدة الشفة الممتلئة فوق الذقن الادق !
وبمسحة من سناء سألَفُ الرأس متمماً ،
أما روعة الجسد ... فلخيال الحُصب !!

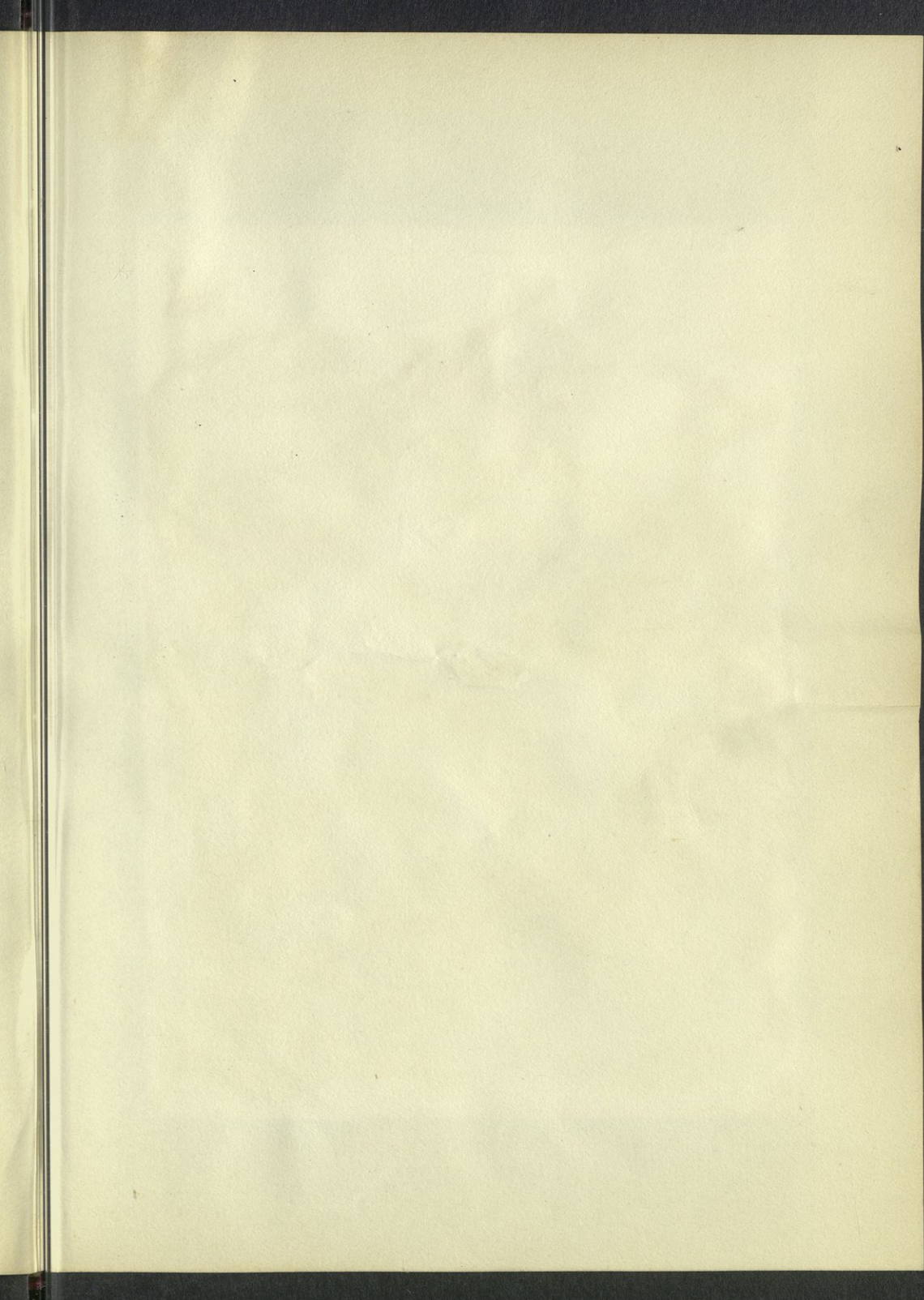
*

ستخلدين على يدي ، في عروق الرخام الابيض ،
خفقة من حياة ...
انثى .. شاعرة
ستخلدين على الدهر ،
تحفة في ،
بعد ما أطوى انا ،
وبعد ما تطوين ...

*

وراحت انا مل الفنان ، ترعى رأسها لمساً رشيقياً ،
ونخيل الى الشاعرة لحظة ،
ان في لمسه بعض حنان ،
وان في نظراته شيئاً اعمق !





في العاصفة

... عواصف ثلج ، ورعود ...
ما كانت قطُّ في البال ، ودنيانا ، بعدُ خريف !
ما رأتُ عيني ، منذُ وَعَيْتُ ، كهذا العصف الصاعق ،
يزرع الرُعبَ في أرضنا ، وكانت الى حين ،
صحواً وشمساً !



'يُجَنُّ جنونه في السَّهل :
يباطح شجرات الزيتون الوادعة ، يُطَوِّحُ غصونها ،
ويصرع حبَّاتها ...
يهوِّل على الوديان ، حشَرجَةً وصَخَباً ،
ويَفِيقُ السواقي ، ولولة ونحيباً !..



وَيَجْنُ فِي الْجَبَلِ ،
فِيُعْمِي صغار الراعيات
تسوق ، على وجل ، الى الزَّزْبِ ،
مع طنين الجلالجل ، وثغاءِ الخناجر ،
خِرَافاً وَمَعَزّاً ... هَلَعَى ، لفرقة المرج ،
ولفرقة النبتة الطرية ، ودمعة الماء في فجوة الصخر !!



وَيَجْنُ فِي الْمَدِينَةِ ...
فتهرع الحلوة الى سُبَّاكها ، ملهوفة ،
تَرُدُّ على كتفها سَالَهَا الازرق ...
عينها على السماء ، في غضبتها العظمى ،
وعلى الروابي البعيدة ، في غمرة الضباب
تري ، هل طَمَرَ الثلجُ المتهاك ، تلك المسالك ،
... فلا يَحِيثُهَا حَيْبُهَا ، يسعى ...
ملءُ عينيه ارتعاشات شوق ،

وملأ يده ، ضمة راجفة ، من سوسن الحقل ،
هديته اليها ؟

تري ، مَنْ آوى حبيبها من وجه العاصفة ؟
ونشّف ، من قطرات الماء ، شعره ؟
هل ذبلت زهرات السوسن من ضغط اصابعه ؟
وهل احترقت ، في الصقيع ، من لفح انفاسه ???

سَنَّا كُلُّوْز

أتذكر يا قلبي تلك الليلة من فجر طفولتي ؟
اذ السماء في غضبتها الكبرى ،
ورعود المطر ، ترشق الغيوم بكراتٍ من نار ؟!
لم يكن في السماء ثمة نجمة سافرة !!



... منذ حين ، كانت امي في غرفتنا - انا واخوتي -
هدأت من روعنا ،
دثرتنا في اسرّتنا ،
مسحت بشفتيها جباهنا ،
وتوارت مع قنديل الزيت ، يتبعها ظلها !



يا لالنوم المّين يأبى ان ينقاد لي بالسهولة المعتادة ،
- انها ليلة الميلاد !

« والسنتا كلوز » العجوز في رحلته السنوية الى البيوت ،
ينفض ذرات الثلج عن جيبته ولحيته ،
يحدب على الصغار ، يحشو جواربهم هدايا وحلوى ..
ماذا سيحل « بالسنتا كلوز » في هذا الإعصار المجنون ،
والسيول على الدروب فوران امواج ؟
أتراها تبتل لعبتي الصغيرة ،
ويتلف فسطانها الوردي ؟!



في غمرة هواجسي مرّت فترة طويلة ،
إذا خطى تقترب ...
عصرت عينيّ ، وطمرت رأسي حتى الشعر ...
ومن خلال لهاثي ودفق خفقانك يا قلبي ،
سمعت السنتا كلوز .
سمعته يفرغ اكياس الحلوى في جواربنا وينفخ البالونات
واحسست بثقل العلبة على وسادتي ،
يا حللوة خشنشتها على اذني !!



لحظات ... حسبته دهوراً ،
قفل بعدها الستاكلوز ، عائداً من حيث أتى !
« ماذا ، لو تزوّدت من الضيف الجليل بنظرة
واحدة » ، قلت ؟؟
ومن خلف اهدايي الراجفة ،
استرقت لمحة خاطفة .
يا لهول ما رأيت !!
أتذكر يا قلبي عظم الصدمة التي ارتطمت بها ؟
قصور احلامك العاليات ،
تداعت كلها دفعة واحدة !!
ذلك انني عرفت من يكون الستاكلوز ! ،
ومن يومها ، في ذهني ،
انطلقت روعة الاسطورة

فِرَاحُ الْبُلبُلِ

طاب نفساً ، فغنّى ...
وتهاذى فخوراً بما غنّى ،
وبعيداً بعيداً ، خطفته العاصفة
من عشّه السعيد ، في الليل ،
... اما الحانه ، بعده ،
فقد خبأها الصدى ، في عبّه الفضاض
ثم راح ينشرها على التلال والغابات ، لحناً لحناً ،
فراناً على الكون سكون ،
فيه من رَوْح الفردوس ... خَدَر !
وسكّرت الوردة والسوسنة ،
والحُسُون أجفل محمراً العين ،
وهناك بلبل نام ليلته على جمر . -
ليس يومه خفيفاً خليّاً ، كأَمسه !

*

هذا الصدى ??

من ملأ عبه شجواً ناعماً ،
فجبتاً ، حياه ، عن مدِّ اصواتنا ، غناء رخيماً ،
ونحننا انقاسنا حتى عن افلات غمة الصدر !؟
قبله .

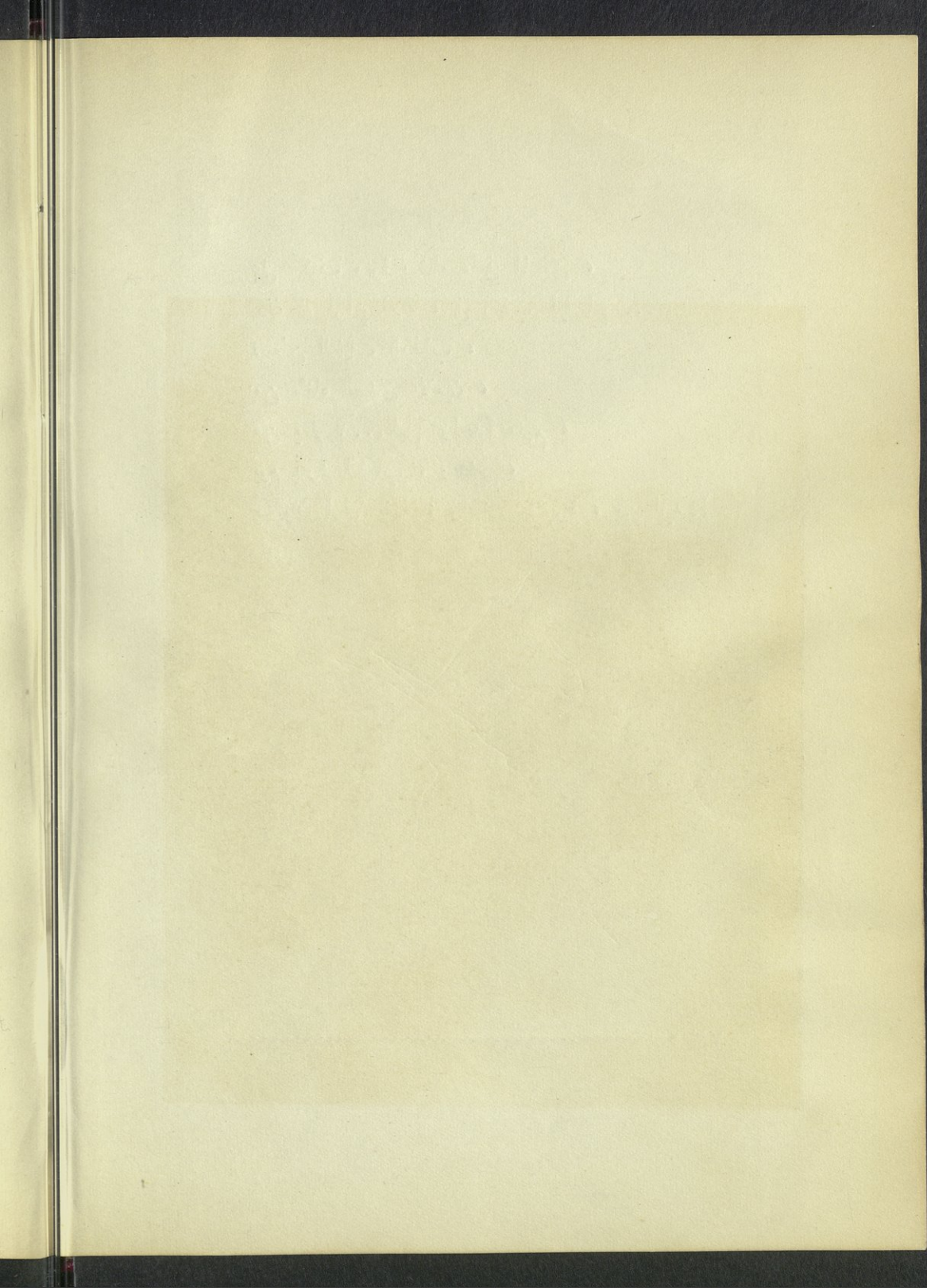
كان الفضاء لنا وحدنا ،
نزرعه نغماً ، متى شئنا ،
ونحنس الأغنية ، فيمسي الغاب ، يباباً موحشاً .
من ذا يتحدى غناءنا ، زهواً وخيلاء ،
ويقيم اوراق الشجر طرباً ، ويقعدها ؟



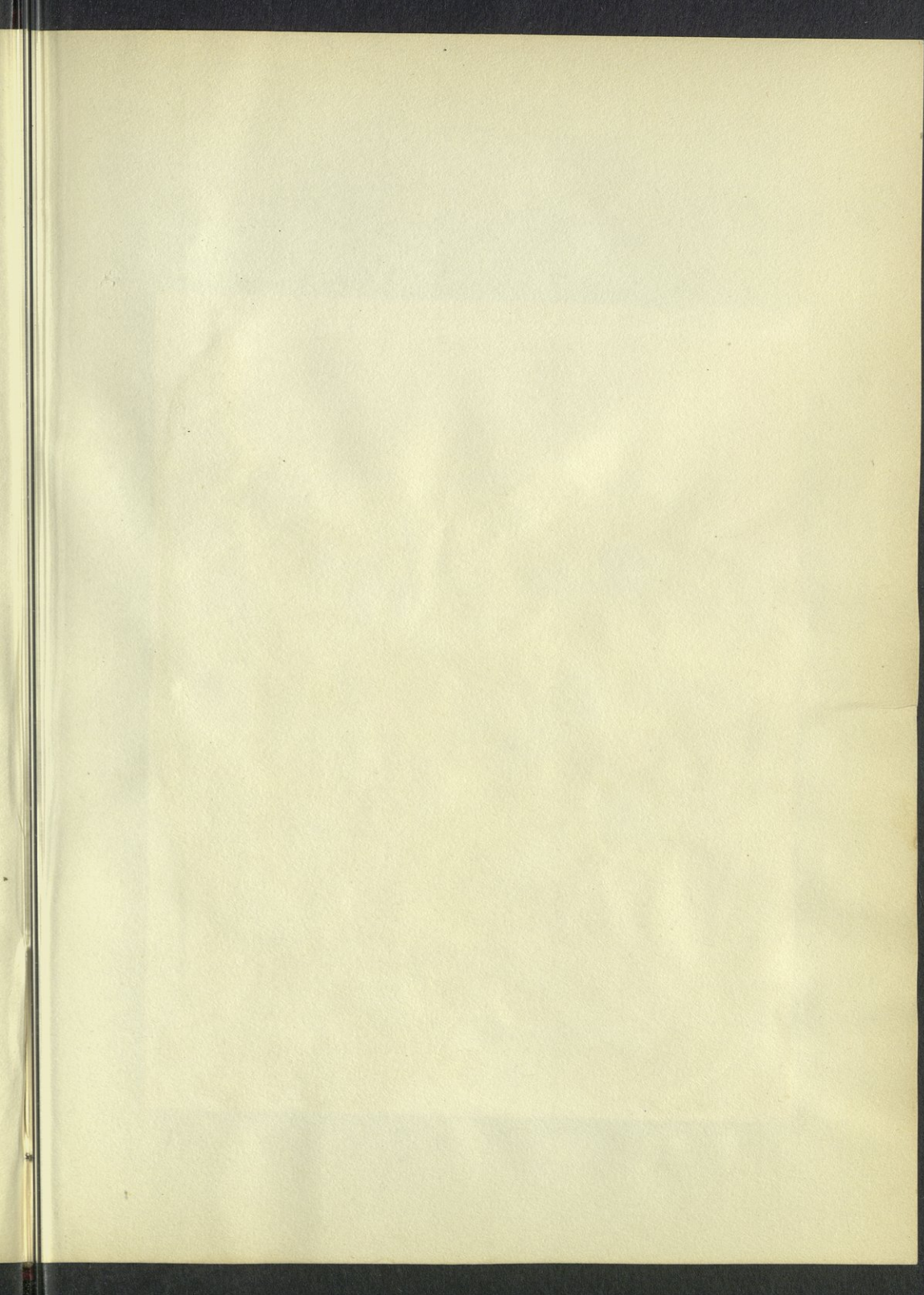
... وهفت نسمة واهنة تههم لناً حنوناً ،
يصبُّ في القلب امواجه .
والاسماع استرهفت ، تمتدح اللحن ، مرغمة -
... صابرة ، في غصص ..
... ايامٌ وتروح قالت ، وينسى الناس الغناء الرخيم ،
وينسون ، حتى هيناتِ صداه ..
ويعود الغاب ، لفرسانه ، مرتعاً ،



على كتف ربوة بيضاء ، في المنحنى ،
كان ثمة فراخ ثلاثة ، في زَغَبِ الجَنَاح ...
تتلقَّصُ النغمات العذاب ،
من شفاه الصدى الامين ،
من يعلم ؟ ... لعلَّ واحداً منهم ،
يوم يبرعم الشباب ، وينضر ،
يكون ارقَّ نغمة ، واصفى حنجرة ، من ابيه ؟!







برعمت

في بُكوري اليكِ ، اليوم ،
بَسَّتْ بوجهي شجرات اللوز ،
على منسرح تلال ضيعتنا :
شعانين ، شعانين ، في بياض موشى ، بين تكايا خضر ،
تغوى دلالةً وتتيه ...
... يا حُسْنَهَا !
لتوَّى عرفت ، ماذا اسميك بعد اليوم ،
لأنتِ برعمة ، يا صغيرتي !



من تقائما وداعة قلبك ،
ومن رَجَفَانِ بتلاتها ، رفيف الاهداب الغضّة ،
ومن خفق الصَّبَا باعطافها ، دعابة مِشِيَتِكَ ورقصها !
ومن تطلُّعِها الى الشمس ، تساؤلك ، وقلب الشفتين !..
يا لبراعتي انا !

كيف لملت هذه الحلوات كلها -
واية انثى سكبتك !
يا برعمة !



بكّرتُ اليك ، اليوم ، فَوَران عاطفة ،
ملء في قبلة ... ليست لغيرك في الناس ،
وذكرت يوم زحلت عن قلبي ، حفنة من قلبي !
فاستفاق فيّ شعور رخيّ ،
... ومع قيثارتي ، غنيت ..
لعينيك ... فرفطت اغنياي ، نجومًا وفراشات ،
وجدلّتها حول شعرك ، هدلّ حرير شفاف ،
منية هناء وسعد ...



من شجور غنائي انتشت نفسي ،
وجفّ من عيني دمعها ،
وطربتُ ، في عيدك ، ورقصت ،
... يا برعمة !!

فَرَاعٌ

في ظلام الليل ، هَمّت على وجهي
اذرَعُ الدروب ، وحدي ، الى معبد .
لعلَّ عَبَقُ بُخُور ،
ونور شِمْعَة ناعسة ،
ورجعَ لحنٍ خاشع -
ولعل هذه كَلَّها ...
تعيد الى قلبي ،
شيئاً ثميناً اضعته !

*

عرفته ... طفلة ، ويافعة ،
يَسْعُ في روعي ، دفته ،
ويشدُّ عزائي ، فلا تهنُ ...
لكنَّ ثوبَ الدهر ، حطَّت عليه في جَوْر ،
وفي قَسْوَة عاتية ...
ولا أعلم متى اضعته ، وكيف ، يا الهي ؟

لعلّ عواصفك الهوج ،
أقتلعه من قلبي عنوة ، هازئة بضعفي ،
وقذفتني ، اتمرمر ، في تيه من الشك !

*

غريقة انا ، في بحر من جليد ،
أُحسُّ قشعريرة ، تهزُّ مفاصلي ،
وتستقرّ في قلبي ، رجفاناً ساخراً ،
أُحسُّ فراغاً ، يُطبق علي ،
ويُحمدُ توقّدَ انفاسي !!

*

... في المعبد جثوت على ركبتيّ ضارعة :
أقرع صدري . دموعي الحرّ تبلّل خديّ ونخري .
فلا عبق البخور الزكي ..
ولا نور الشمعة الناعسة اللاهثة ،
ولا ترانيم الكُهان ... اعادت الدفء الى قلبي ...
بعيداً بعيداً قفلت ، وحدي ، في شروء ...
هتّمت على وجهي ، في ظلام الليل ..
وما ازال ...!

صُبحِيَّة

طار مع الصبح ، الى سريري ،
صغيران - بعمر الورد ..
وتحت لحافي غَلا ، وطلعا عليّ :
بوجهين خضيين ، لوناً ،
وبعيون ، تزهو على الشمس اشراقاً ،
وعلى النجوم غمزاً ورقصا ...
وتراحاً على ذراعيّ وعنقي ، دغدغة وشماً ،
وتناثشا قبلاتي ، عاصفة من هياج واحتجاج ..
فطابت في فمي رشقات القهوة ،
تجيينني تقليدياً ، الى السرير .
على صينية من نحاس ،
كأنها الذهب !

*

فجأة ساورني قلق ..

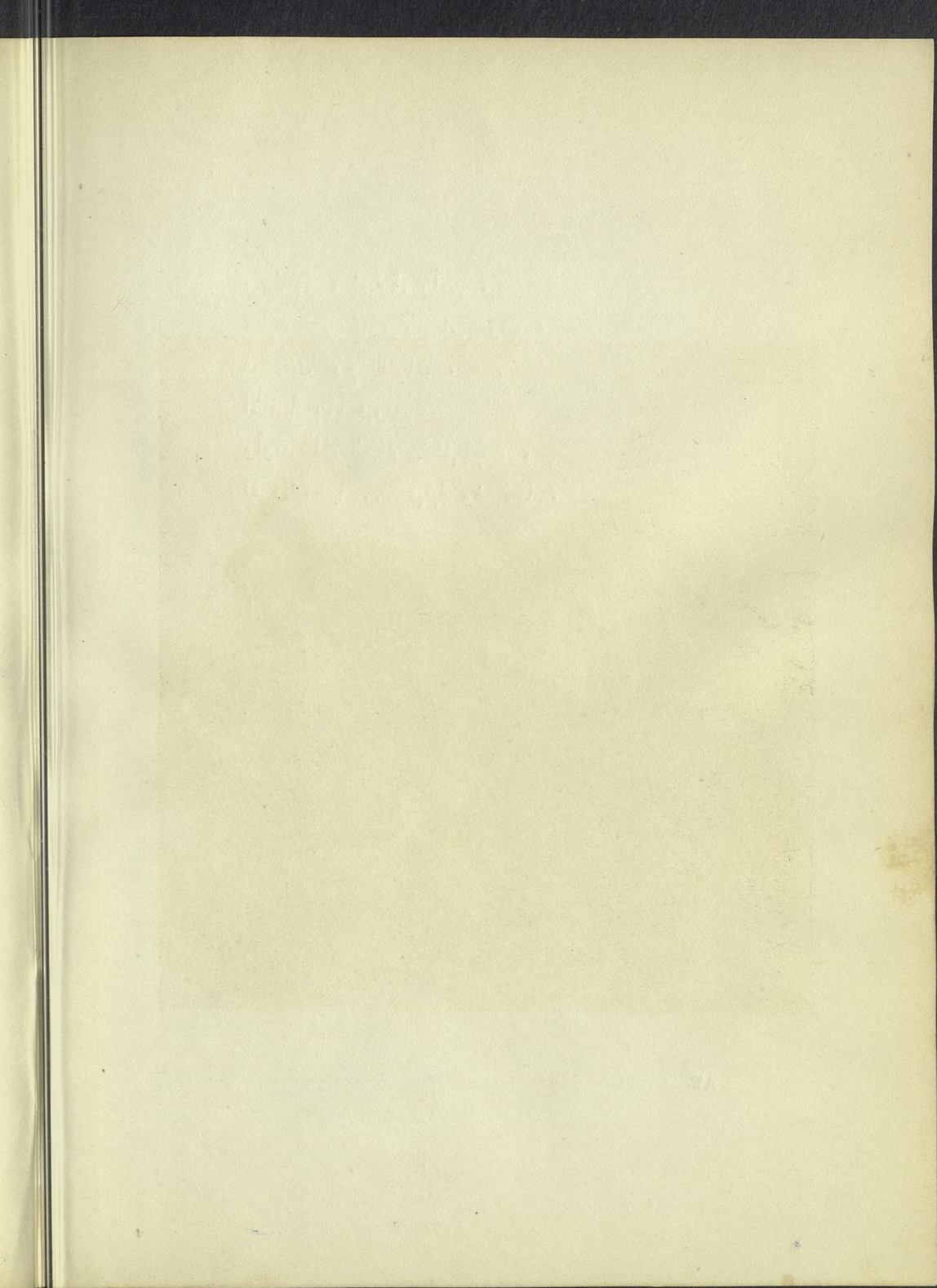
خفت ان يرتفع جناح اهوج ،
فيقذف بقهوتي فوق الوسائد والشراشف !
ورحت احذر الصغيرين ،
متكافة العبوس والجدد !
فيقابلاني في تهريج عالٍ
بل في سكرة لا واعية -
... حصانين جامحين !!

*

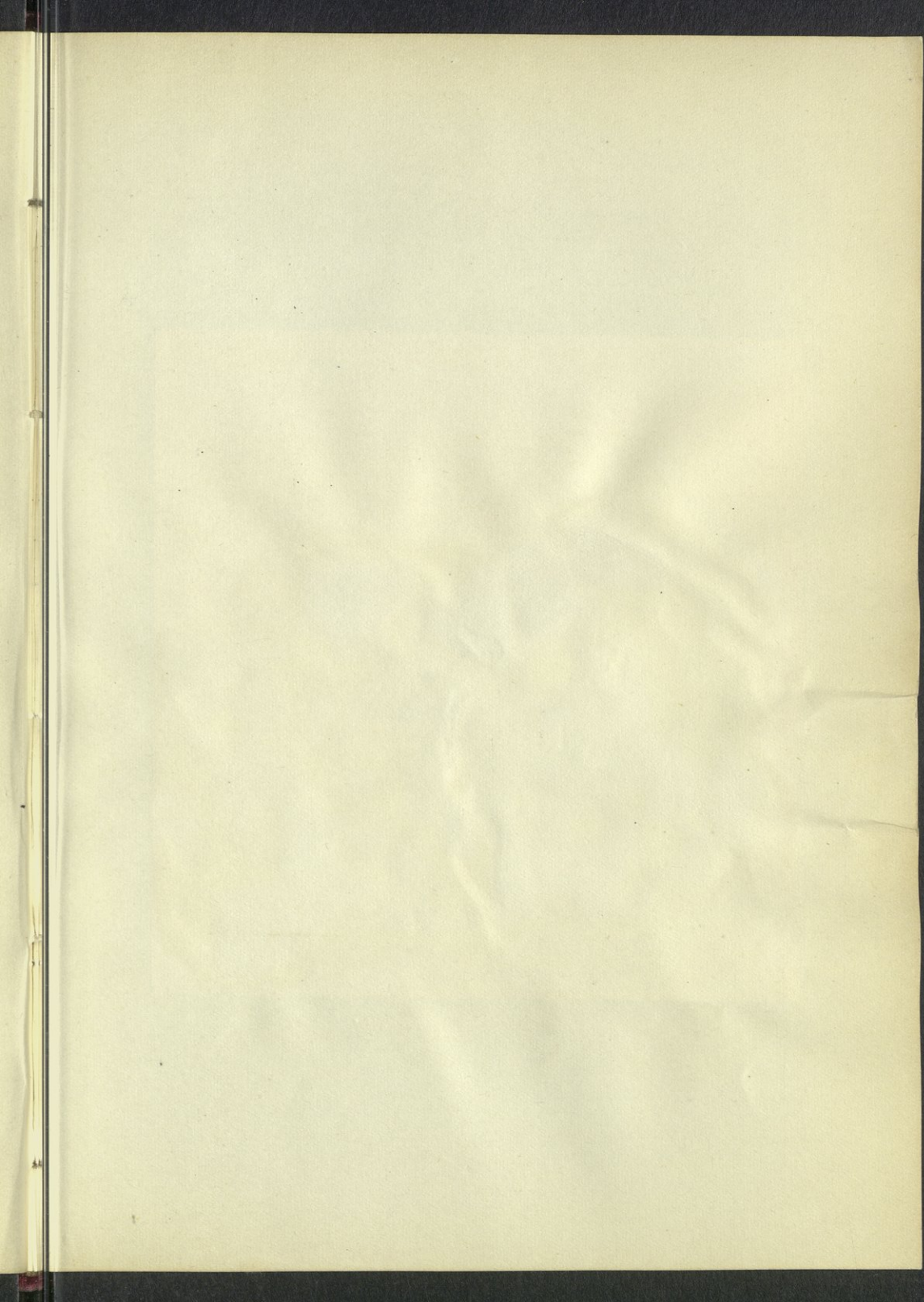
ضاع الامر عليّ .
ومن يدي افلت الرسن ،
فاتخذت موقف دفاع ،
وتحصنت بحافة السرير ،
احمي الفنجان بكلتا يدي ،
وعيناي تتنقلان ، في رفيف وجيل .
من صغير الى صغير -
في هستيريا من قهقهة ،
لا اول لها ولا آخر ...

*

وكالسهم ، اخترق رأسي ،
مشهد غابر لي ، مع امي واخوتي -
فعكفتُ مع الفنجان ،
اشتفتُ بقايا قهوته -
وأرثتُ الى الصغيرين المحتاجين ،
اغرق معهما ... قهقهة وضحكاً ،







سَوِيَاء

الليل غريق في صمته ...
والعَتَمَةُ السوداء تدبُّ ديببها البطيء الى غرفتي ،
وتجثم على صدري مثقلة ...
وتغصُّ الفرحة المرفرفة في قلبي -
حتى هذا النجم المتألق ، يكشفُ الغيوم من طريقي ،
عَشِيَّتِهِ العتمة واعمت عينيه !
أبهذه القسوة تعصرين قلبي ايتها الوحشة ،
فلا تتركين فيه بقية لرمق ؟



وانت ايها القلب ، ما شأنك معي ؟
هل انت لي سوى بیداء ، يرتفع منها لحنٌ رتيب ،
وتبيس من وهج قيظها الاعشاب الندية ؟
لكم خلفَ جفافك الظاهري من رواءٍ مكبوت ؟!
وايُّ حديث عساي انقله ، اليوم ، عنك ؟

اهو حديث الحب ، الذي يهزُّ الناس - جميع
الناس - الان وكل زمن ؟

اهو حديث البنفسجة ، تَسِدُّ بذارها عند مغرسها ،
لتُبْعَثَ في غدٍ بنفسجة ثانية اشَدَّ حيويّة وفتوّة ؟
ام هو حديث القدر ، يقهقه في آذاننا تهكّمه اللادع ؟
تكلّم يا قلبي ... قل شيئاً ...
اجب بكلمة واحدة ، ثم عُدْ بعدها الى صمتك
المريب ،

والا انتزعْتك الساعة ،
واقطعتُ جذورك من صدري ،
وقدفتُ بك من نافذتي ...

مِثْل

على مهلها ... استرختْ اهداب الصبي ، وتلاقتْ
في عناق قريب ...

وبزفرة طويلة ... راح في نوم هنيء ...
يدُ أمّه ، تعبث بشعره ، وتردّه عن الجبين الرحب ،
ومن بين شفيتها تحتلج نعمة -
النعمة المحبّبة الى الصبيّ ، ينام عليها !



... لحظات .. والام في تأمل رهيف ...
عينها ترعيان الصغير النائم ، تتفتح فتوّته ، مع
الايام ، عن يفاع عامر :

امتلاء صدر ... استدارة زنود
امتداد قامّة ، في خشونة ... انسجامُ اعضاء ،
خضيب عافية في خدين ملوحين ...
ويستقرُّ نظرها على راحة الكفّ ،

وعلى الاصابع المشوقة المنبسطة ...
وبرفق ، ترفع اليد السمراء بين يديها -
... الى شفتيها ... ثم الى صدرها !
كم تشهت ان تفعل مثل هذا ،
فردعتها ارادة ، تفرضها هيبة الامومة !



.... لا ، لن تذرف ، كعادتها ، دمعا سخياً ...
هي اليوم ادنى الى السعادة ، منها الدموع !
يا روعة ما يتجلّى لعينها !
أُشْرِقْ في قلبها ، من جديد ، امل ريان أخضر ؟
أيعود حبيبها ، يخطر في الدار ، بعد فراقٍ مضمّنٍ
سحيق ،
فتنعم بطلّته ، ملء العين . - ملء القلب ...
في شخصٍ هذا الصغيرِ الغالي - صغيره ؟

للحن الضائع

ولولي يا عواصف وارقصي ،
واصفري في الآذان ،
واقرعي الابواب ما طاب لك ،
فليس ، الليلة ، اشدُّ جنوناً منك وابطش ..
... غير قلبي !



ترتجحي ايتها الشجرات العاليات خلف نافذتي ،
وانقشي شعرك كجنيّة في الادغال هجرها حبيبها ،
فليس في غضبتك الخيفة هذه ،
غير صورة ... لبعض حالات قلبي !



ورذاذ الثلج في ذرى جبالنا ،
تذريه الريح انسى شئت ...

وساعة تُرخي جناحيها الشفافين مُنْهَنَةً إعياءً ،
يتشاءب الجبل المدنَّق ،
تحت وشاح ابيض نقي ...
وما همني ان تصطرع السفوح تكويها الغيرة الصفراء ،
ما دمتَ انت ، كهذا الجبل في بياضه وتقائه ؟...



... صور ، تتوالب الى مخيلتي ،
في يومك ، يا قلبي ،
يوم لفظتكَ الحياة من عدم ،
فصرت واقعاً له كيان ،
ينبض حرارة ودماً ،
وملء برديه آمال ...
كنت ، كلما عاودتني ليومك ذكرى جديدة ،
ابيت ليلتي ثائرة الاعصاب ، مغموسة العينين ،
واحسُّك انطويت على ذاتك في أنفة ،
كحازونة في بحر ناء ،
كلما تراءى لها ان يداً تراودها ،

توارت سريعة خفيفة ،
واغلقت دونها سداً محكمًا !



سألتك يا قلبي ... إلامَ يستبد بك التنسُّك ،
فلا تشارك الناس هرجهم ،
وتطلق حنجرتك في غناء شجي ؟
إلامَ يستبد بك الاحجام ،
عن شهى المآكل ، وعن أطايب الحياة ؟
حلّفتك يا قلبي ، باسمه ، ألا خلعت ثوبك المهلهل ،
وشددت اوتار قيثارتك ،
لنعزف معاً ونغني
لحك الضائع ؟!

زهرا تَكِ البَيضاء

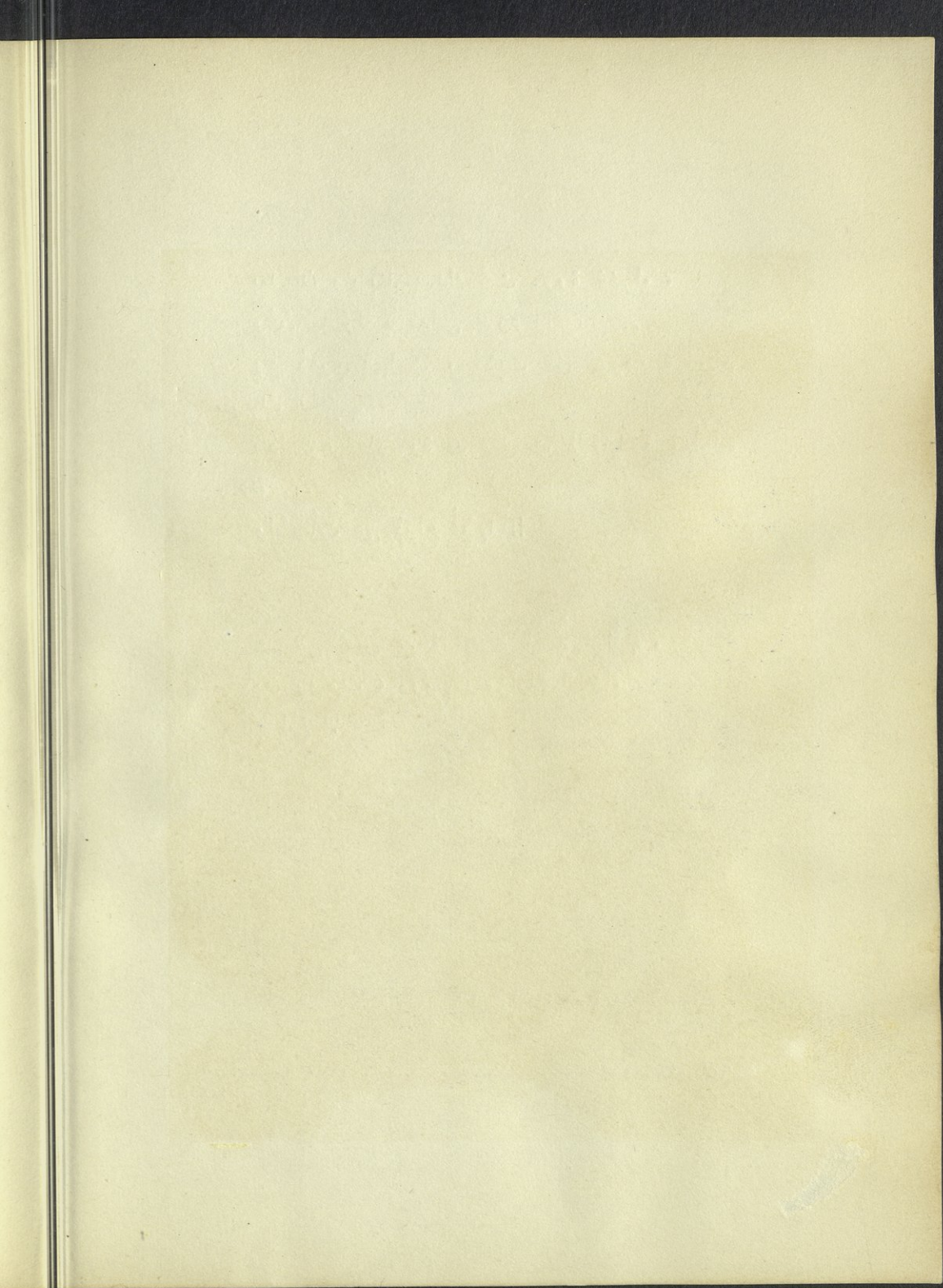
... في بيتنا على شرفة البحر ،
حَوْضٌ صَغِيرٌ من الزهر ،
كان مشعشعاً بالبياض ،
يوم اهديته اليك في عيد الامهات ،
على اسمي واسم اخوتي ..
لن انسى ما حييت ، ابتسامة الرضى في عينيك ،
تلميذان النظر الى زهراته المفتحة ...
أية عناية رفيقة توفّرت لهذا الحوض ،
لتبقى زَهْرَاتُه مفرّحة ، رافعة الرؤوس ،
تُشيع في غرفتِكَ ، ولو شيئاً من الحياة والامل .
وجاهدت الزَهْرَات وصارعت الى حين ... ولكن :
واحدة واحدة ، صارت الغواني الانبيات ،
تُغمض عيونها المستديرة ،
وتلوي اعناقها النحيلة في استسلامة اليأس ،
حتى كان اليوم الاسود ، في عودتنا من وداعك الاليم ،

بعد ان وارَيْنَا جسدك تحت سروة خضراء ،
وَضَمَّخْنَا ثراه بأكداس الورد والقرنفل ...
وفي ذهولي الصامت ، مشيت الى الشرفة اتفقَّد
حوضك الكئيب ،
فاذا الزهرة الاخيرة قد لَمَلَمَتْ غلايِلها في انطواء
وادعة ...

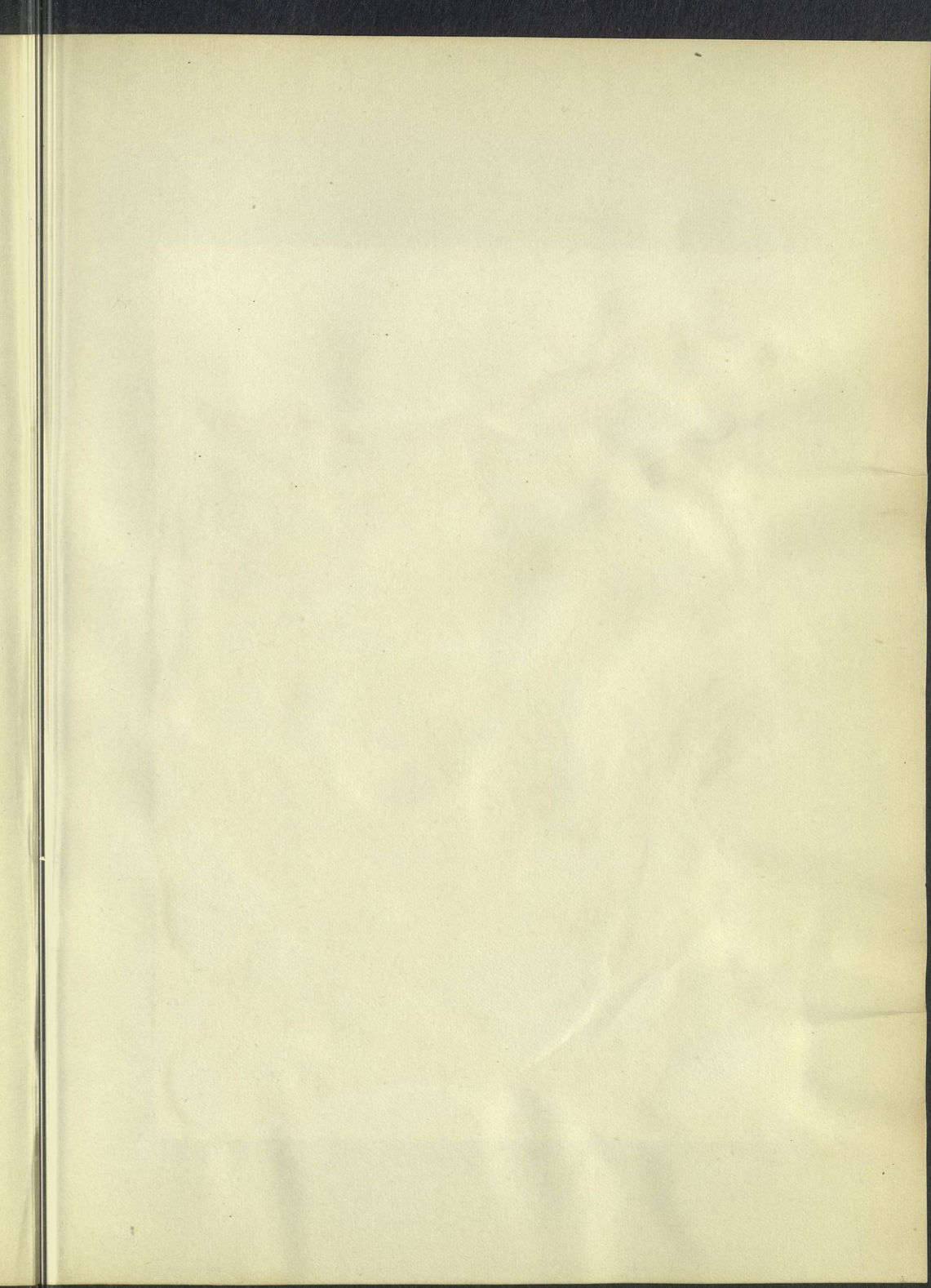
وانكأَت على ذراع أُمِّها !!



هل هي محض صدقة ، هذه الصَّلَّة الوثقى ،
بين روحِكَ ، وروح زَهْرَاتِكَ البيضاء ،
يا امي ؟!







لا شيء

... لا شيء أريد ، يا حبيبي ، لا شيء ،
غير حفنة من شكر ، نديانة .
حسبي من دنياك اليوم ،
هذه المنبهات الهاربة ، وفراسة حمراء ،
تتهادى على برعمة ، تحطّ عليها ... او لا تحطّ !
وكناري هيان ، لا يدري اية زهرة يعني ،
ولا على ايّ عود يرفّ ...



يا لجلال السكون ، يلفّ الكون بوشاح الغبطة ،
ويلقّني ، روحاً وجسداً - كتلة من تعب !
... على مدى العين ، تمر الطبيعة ، اجواء حسن ،
يتألق وجهها في ترف الحضرة ، عن الفِ ظل ،
وعن ألف عير ، يفوح ...



وانا - بنت الارض - حبة من ترابها ، يتيمة ،
فوق عشب وسوسن انام ،
وأغلق دون مشاغل العالم وهو اجسه ،
فكري وقلبي ...

*

يا ليت لي فقط ... قلباً كقلبك كبيراً ،
يمسح عن نفسي اثقال الهمم ،
ويؤنّ احلامي الشاحبة ،
ويفرش دروبي جمالات واطيباً .
يا ليت لي ذراعاً ، كذراعك ، فتلاء ،
تسند رأسي الواهي ،
وتردّ عني لطفة الغدر ...
وغير هذا ، لا شيء اريد ، يا حبيبي ، لا شيء !

أجراس العيد

... هذا الرنين المتتالي - رنين اجراس العيد ،
يفيِّق من اعماق مخيلتي البعيدة ،
صوراً اسطورية لطفولتي ...
يا لانتعاش دروبنا يومذاك -
انتعاشها بماء الزهر -
ترشه العجائز سخياً ،
على صَوَافِي المعمول ،
تعمُرُ بها البيوت ،
ينقلُّها الصغار على رؤوسهم ،
في صَحْبِ اهاليجهم القروية !!!
ولعل الفرحة الكبرى ، كانت نصيب الفران العم بوحسن
لا يُهمل هندمة شاربيه الناهضين ،
الاّ في موسم المعمول من كل عام !!



وحديث البيض الملوّن ،
 وما يرافقه من تجمُّع الفتيان والفتيات ،
 في ساحة الكنيسة ، او في منعطف ...
 ساعة تلامس الرؤوس الرؤوس ، في براءة ،
 وتحفُّق الصدور خفقاتها الاولى ،
 وتتردّد الوجنات ، في اغرار الشفق قبيل الفجر ،
 وترتّش الايدي اذ « تطاقش » البيض : -
 تَغْنَمُ او تَخْسِرُ !
 وكَم من طرفة ، عن بطولة هذه اللعبة ،
 تناقلها جيل عن جيل ،
 على الرنين المتتالي - رنين اجراس العيد !



... سَمَّوه « فصحاً » وسَمَّيناه ثياباً للغوى ... مخملية
 واحذية لماعة ، تنقل الخطى متريثة ، فلا تَخْدَشُ
 وشرائط من حرير ، تتوجُّ الغدائر التي لا تَنْسَرَحُ
 على الاكتاف الا في العيد .
 - كان لهذه المَتَع ، الصدارة من أُسِرَّتْنا ،

اذ يطير من الجفون النوم ، في انتظار الرنة الاولى
تنطلق ملهوفة من قلب الليل ،
مُعلنة شيئاً مبهماً ، ترتعدُ له القلوب :
« قيام رب !... انتصاراً على موت ! »



... اسطورة من صور ،
تعيش في خاطري مواءة الالوان ،
ويوجعني ان تنطفئ هكذا من حياة اولادنا ،
والا ، فلماذا يغرق صغيراي في الغفوة ،
لا يعني لهما كثيراً او قليلاً ،
هذا الرنين المتتالي - رنين اجراس العيد ??

فَتُّ قَلْبُ

من شبه نوم ، أفقت ،
وكانّ لون حلم كذوب يراود شفتي !
رويدك يا حلم ! لاستعيد حوادث أمسي ...
لماذا أشك في حديثه ، ويستبدّ بي الشك ؟
وهل شاع عنه الا الصدق الحلال ؟
أصدقه اذن ، وما آمنت مرة بالحب ... مرتجلاً ؟
عهدي به يجيء الهوينا بدلّ وهوادة ،
لا طفرأ على الرمال !
او لعل للحب تبايناً في الوجوه ،
لكلّ سحنه : -
الحادة السريعة ، الهادئة الرفيقة ، الحية الكتوم ؟
ام ان الحب يتسلل الى القلوب ، احياناً ،
ويرقد شهوراً او سنين ،
وفجأة يستفيق ... جموحاً عنيفاً !
اين لي مَنْ يمسح الغباوة عن عيني ،

وينور بالحقيقة قلبي ،
ويمحو الوهم المريب من رأسي ؟
عييت ... عييتُ من أعمال العقل ،
ونال فكري وَصَبُّ سقيم .

*

... أجبانة انا اذن ؟..
لا ، وما احسبني جبانة !
وانما احب الخطى الواثقة ،
على الدروب الواضحة ،
وفي قلبي ، بعد ، حنيّة دافئة ،
فيها بقية حب ...
يعزّ عليّ ان تمسّها ريبة ، ولو ظناً !..
فما اخنّ هذا القلب - قلبي -
بان يُسَخَّر !!

جراحُ الصِّديق

... مَنْ قال ، يا صديقي ،
إن الجراح التي نفذت الى عمق اعماقك ،
لم تتركْ قلبي يتنزَّى بالدم ؟



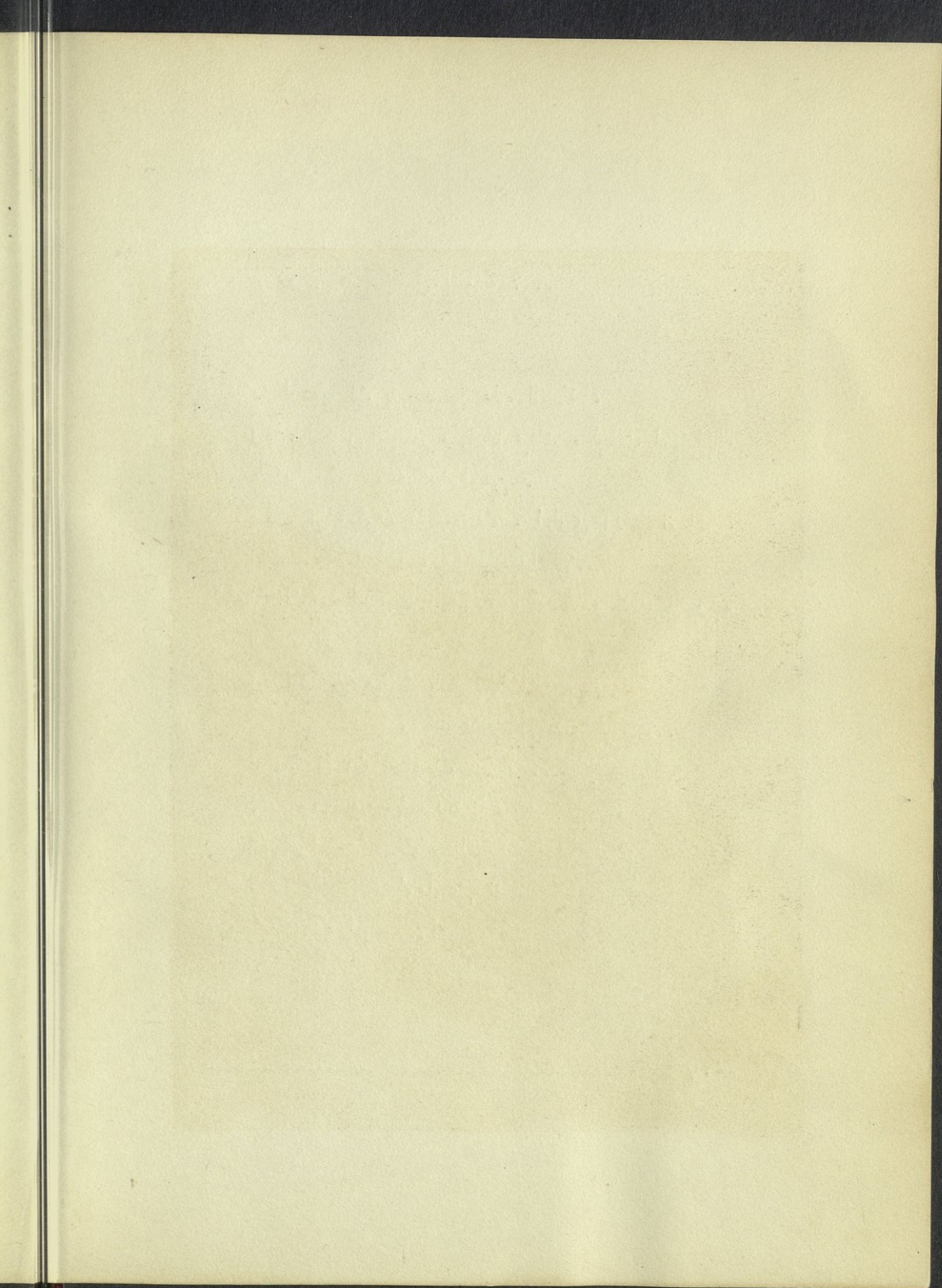
بلهفة ملحاحة ، اتنَسَّمُ اخبارك ،
كَمَنْ لا يَأبه !
وكيف يُشبعني الايجاز ، وانا ابدأ ،
في صمتي وكبتي ... جَوَّعِي الى المزيد ؟! ...
تُرى لَمْ خُنَيْتْ انفاسي هكذا ؟
تُرى لَمْ عُقِدْ لساني فما جرى عليه فيض غزير ،
مما يَعْجُ ويَضْجُ فيَّ ،
من ثورتي على الانسان الجائر الذي تجرّد من انسانيته ؟
... وَمَنْ قال ، يا صديقي ،
ان الجراح التي أدمت قلبك ،

لم تترك قلبي يختنق بدمائه ؟...

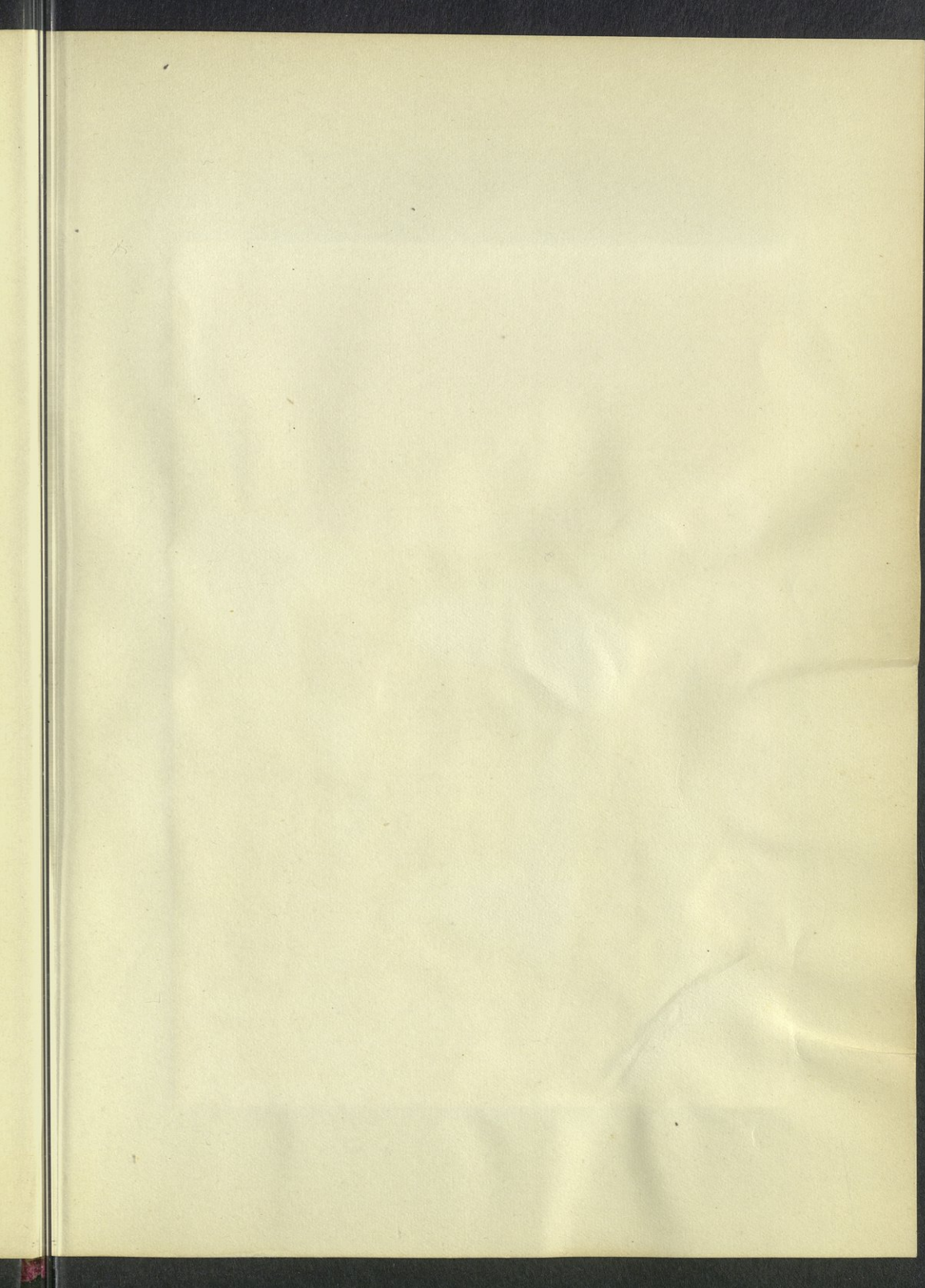


ما اردتها لك يا صديقي هذه الغصة ،
وهذه الكأس التي تجرعتها انا قبلك ، ليست لشفتيك ،
هكذا أشعر ، هكذا أومن .
تمنيت لو اكون الى جنبك ، اداري آلام نفسك ،
اهدهد جراحاتها ، وأخذ بيدك ...
لكنك ما احتجت احداً ، وصمدت وحدك في وجه
العاصفة ،

وعاشت في عينيك النظرة الشاحخة .
للانسان الكبير ، في جميع تألمات الحياة ...
فاسمح لي ان اصافحك مهتة ..
... ومن قال يا صديقي ،
ان جراحات قلبك الدامية ،
لم تترك قلبي منظوياً على نفسه ،
يئن انينه الموجع ؟!







هذا الحنن

هذا حننك ! -

حننك المفضل ...!

يتجاوب رجعه في نفسي انتفاضاً مثيراً ،

وما أسرع ما يخلق بي ...

وفي مثل طرفة العُذْب اراني في عالمك انت ...

دقائق معدودات اعيشها معك ،

ومع حننك الشجيّ ...

وكانّ الخمس عشرة سنة دقائق خمس !



... مع هذا الحنن تعود .

تعود اليّ قوياً ، جاححاً كشطية ...

الوقت صيف ،

وانا وحدي على شرفة بيتنا ،

أنصتُ الى وشوشة الصنوبر في الليل ..

فجأة اراك امامي ! -
حتى الان ما ادري من اين هبطت !!
وكان في يدك شيء دفعته اليّ .
« هذه » ، قلت ، « ألحان اخترتها لكِ بنفسِي ،
إنها تراث الموسيقى ،
اما هذا فلحني المفضّل ...
أسمعنيهِ الآن وانا مستلقٍ الى وجه القمر .
لو تعلمين ما يعنى لي هذا اللحن !
انه « نشيد الحياة » ، فاذكّريني كلما مرت انغامه ،
بسمعك ... او ببالك .. »



هذا لحنك -
لحنك المفضّل !
وما أسرع ما تتلاشى انفاسه المنغومة ،
وانا وحدي في الليل ،
مع ذكرياتي الثائرة المرتبكة ...
... لا قمر على شرفتي ...
ولا رفيق !

مَعَ جَدَّتِي

يقولون ... إن لي رفيق هديك ،
وفي شموخ مشيتي ، وفي اعترازي ، منكِ أشياء ..
انت يا جدَّتِي ، التي سبقتني في الزمن .. ستين
شوطاً ، وكان لك في دروب الحياة مواعيد ...
هاتي خبريني عن هذا اللغز الذي يسمونه « هو ! »
متى اصدق ومتى لا اصدق حديثه وبوحه ؟
ولماذا يروقني هذا البوح ، وفي العطاء اصدق واتمَّع ؟
هل طبعي ان يكون الانسان على هذا الطبع ،
يا جدَّتِي ؟ !!

كيف لي ان اخلق من قواي المتفاعلة حوافز
للعمل الحثَّير ؟

هل صحيح ما يزعمون : ان الفتوة المتقدمة لا تجد
وحيدة ، طريق السعادة ؟
خبريني ، يا جدَّتِي !



وعندما يجفّ ماء الشباب في جسدي ،
ويصبح هذا الجسد حطبة يابسة ،
هل تبعث فيه الذكريات - ذكريات الحب -
تلك الخلجات الحلوة ؟
ام ان هذا الشعور الحنون الذي يهزّني اليوم
ويغمرني نشوة ،
يصبح عبر الازمان -
انشودة منسية للحن ؟

بَشْ شَوْق

... في الطريق الى بيتكم غابة سنديان ،
تعالَت غصونُها مشرَّعة ، تعانق الاجواء ..
ما مَرَّتْ مرةً من هناك ،
ألا وتدانت ، على عجز ،
توشوش اسمك في أذني ...
وفي الغابة درب رفعية ، تتلوَّى على هواها ،
تركت ذكريات الشباب في ضلوعها ، حُفراً مبعثرة ..
كان بين الدرب وبينني ، امس ، حديث ... ودموع .



قالت إنها افتقدتك ، هذا العام .
كانت تأنس وتبشُّ خطاك ،
وإنها سدَى طال تطلَّعُها صوب بيتكم ، تسأل عنك .
لقد ولَّى الربيع ، وكرَّ اثره الصيف ... والخريف ،
وهذه شقائق النعمان ،

بعيونها السود ، وغلاظها الحمر ،
بدأت تمهلّ على جانبيها ،
كنتَ تحبُّها وتترقب تفتُّحها ، قالت ،
وقد حنّت عليها ، بعيدة عن الأيدي ، على اسمِكَ ..
لتشكُّها ، متأنقاً ، في عُرْوَتِكَ ...
فلا أنتَ مررتَ ، كعادتك ، ولا احد دلتها عليك ...
... وليس ثمة صدرٌ ، كصدرِكَ ،
تموت عليه الأزهار ، سعيدة هائلة !!



هاج اشجاني ، حديث الدرب ، وحيّوني امرها ،
فرحت اغنم شئناً مُبهِماً ...
وسرت اتعّثر بقدمي ...
كآبة ، دامعة ، خرساء !



يقولون : إن بيتكم سيغدو ، مع الربيع ،
في غير ذاك الجوار .

فأعفى من عبور تلك الغابة الموحشة ،
وأعفى من التعرّض لتلك الدرب الرفيعة ،
التي تتلوّى ، على هواها ...
أتراني ، أخيراً ، انسى بثّ ما بها من شوق ؟!

شجن

نم على زندي ، وخذك ألقه في عنقي ،
وبعرق الجبين ضمخه ...
فوا طول حنيني الى ذياك العبق الزكي -

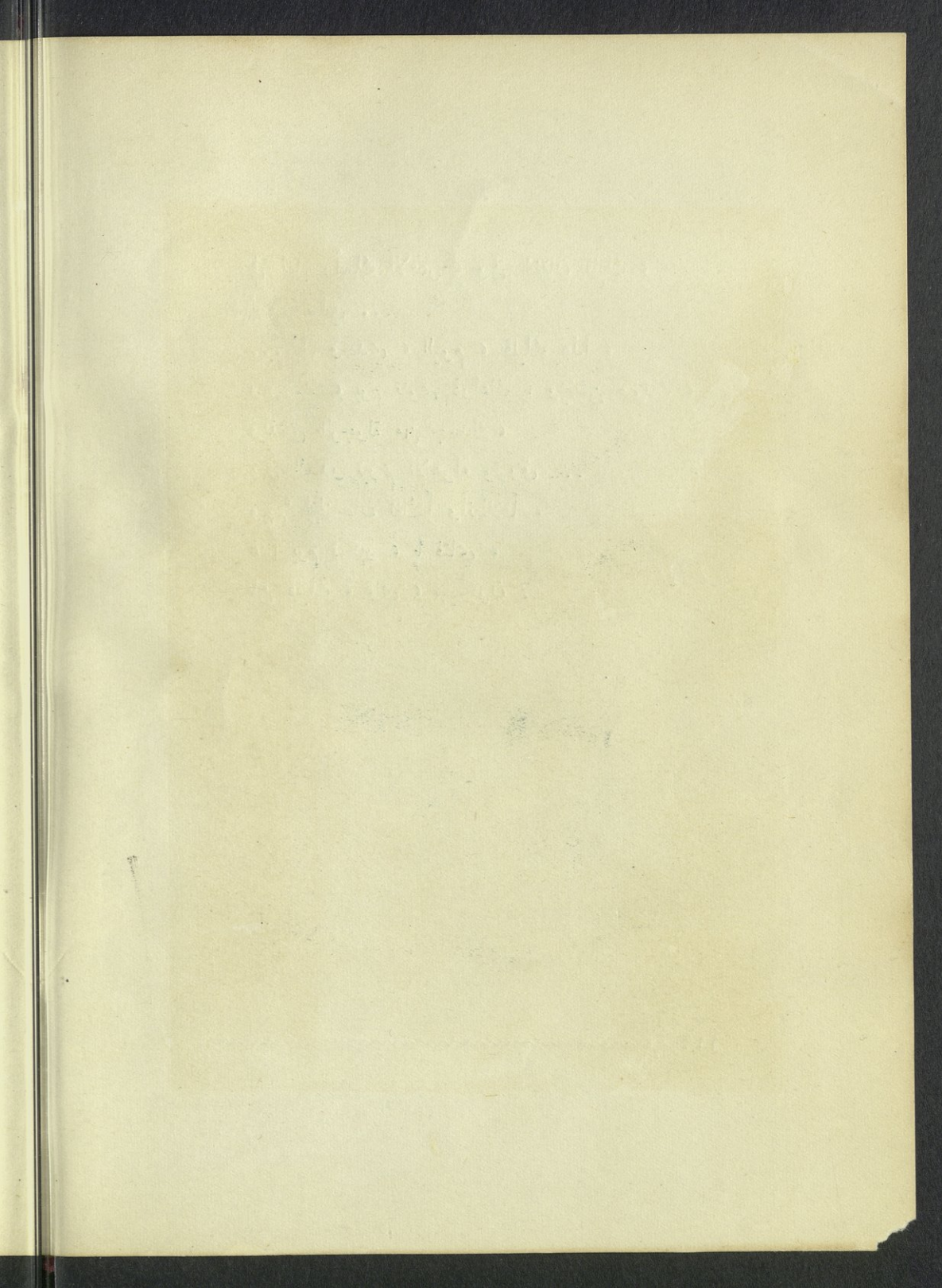


... خلّ اجفانك هكذا ... مطبقة ،
فلا تلحظ عيناك تأزّم الشوق على شفتي ،
وارتعاش اللفّة الملوّعة خلف اهداي ،
ولا تنوجع لبثّ شجنني ،
في تمتعي المخنوقة ،
وفي ديبب تلمسي الرفيق ...
... لأنّ صورته الصغرى -
صورة حبيبي ،
على زندي نم ... يا هنائي !

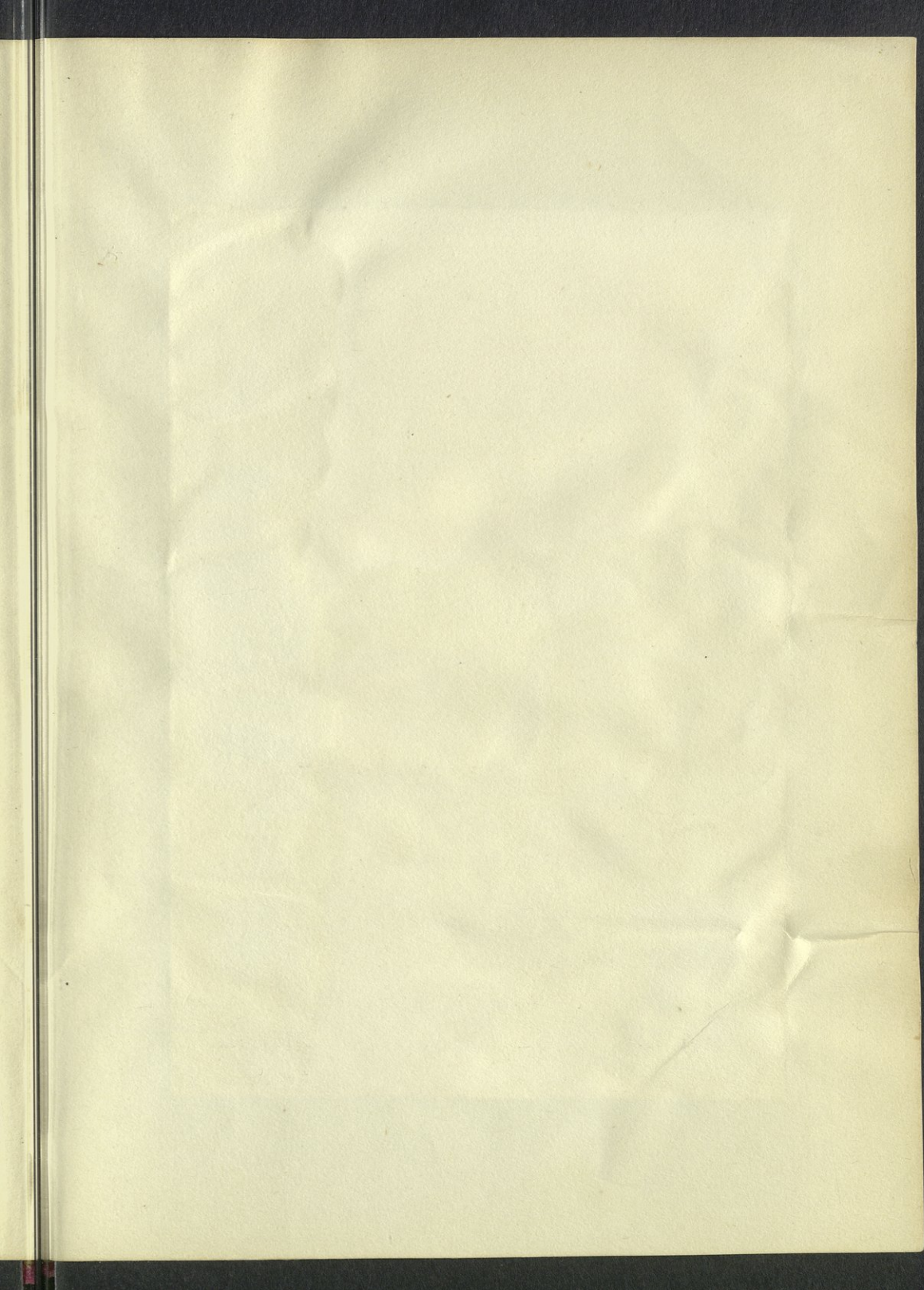


في ثقل رأسك الاسمر ، وفي خفقان قلبك ،
بُوءٌ للأساي ...

... لي وحدي ، اليوم ، قلبك هذا ،
وفي غدٍ ، يوم تقوى ذراعك ، ويخشن صوتك ،
ومتشقق الرجولة من جسدك ،
وفي الصدر تبرعم الالهواء وتورق ...
ويهمُّ الجناحان تفلُّتاً وانطلاقاً ،
غداً يوم تكبر ، يا فتاي ،
لمن قلبك ، ترى ، سيكون ؟







فِي مَعْبَدٍ

... أَعِثِّي يَا رَبِّ !
هَبْنِي قُوَّةَ يَا إِلَهِي ،
لئلا يتزعزع إيماني بك من جديد !..



قرب سريرك أنا يا أمي ،
حانية ، سادرة الطرف ، اتمم صلاة ...
صلاة لا تخلو من الشك والخيرة ...
وفي قلبي بركان يغلي ،
وبحر من دموع متجبرة !



يا له من داء عُيَاء ،
هذا الذي رماك يا حبيبتي !
ما أكثر ما انهَدْنَا في وجهه ، وقطعنا عليه الطريق ،

لنردّ عنك غائلة الاذى ،
لكنه قهرنا جميعاً ، وساقك امامه بوحشية الذئب
الضاري !



في غرفتك صقيع يتحدى دفء الربيع ...
وخفاش اسود يصفق ساخراً ،
وشميم شيء اشبه بالعدم ...
حنانك يا امي ... حنانك !

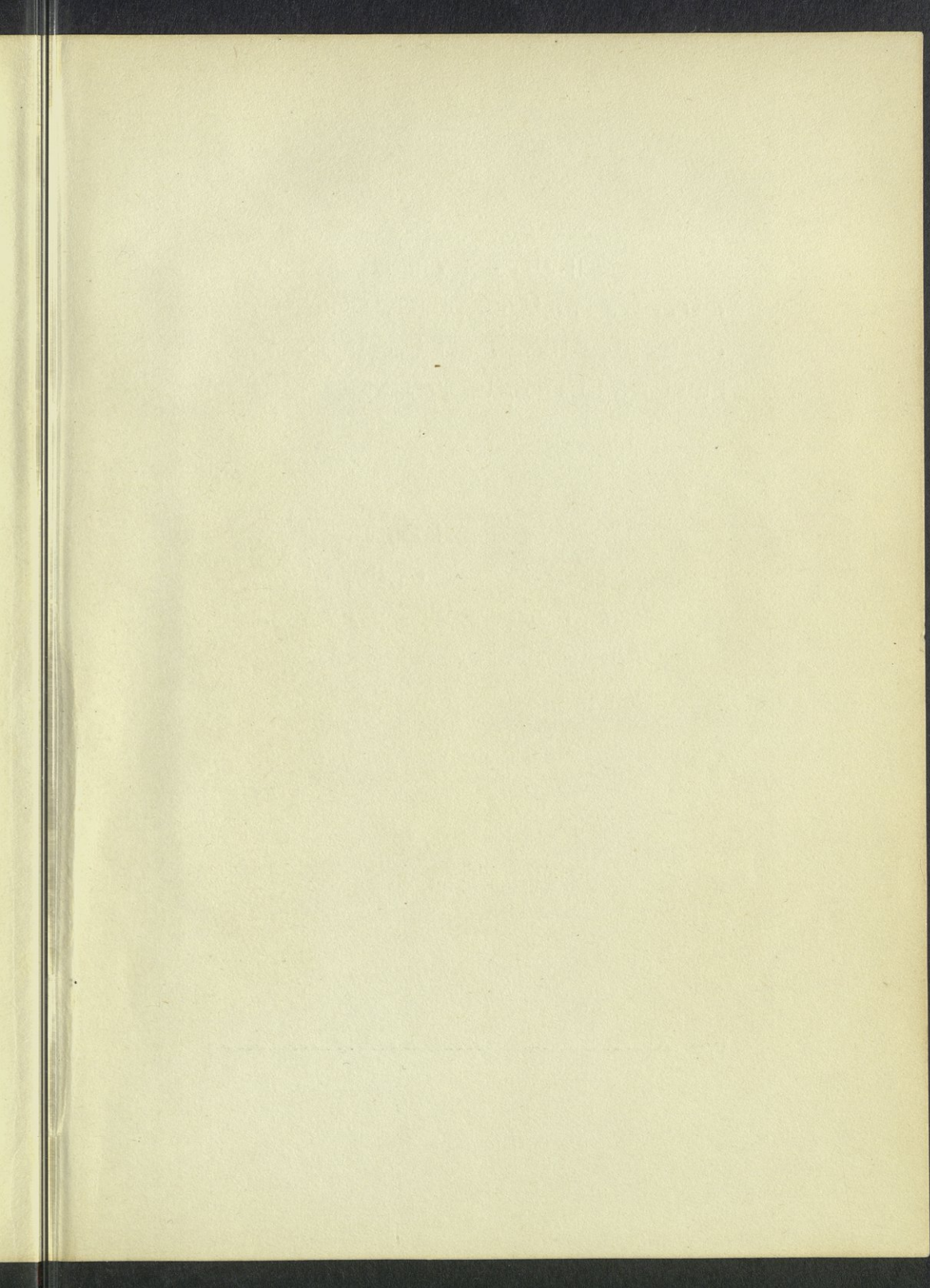


أهكذا تجبو الشعلة النيرة في وجهك الحبيب ،
ويصبح كتمثال من شمع يلفّه الشحوب ؟
وعيناك ، تانك العينان اللتان ،
ما عرفت الوجوه اشرق منهما ، ولا اصفى ..
لكأنها اليوم من رخام بارد !
والوعتي ، اذ يخامرني الرّيب ،
ان لهفتنا عليك لن تنقذ حياتك الغالية ،

ولن تبعث دم العافية في عروقك !!
يا لقلبك الحثير المعطاء ، يشحُّ ماؤه يوماً فيوماً ،
ويا جزعي اذ يدبُّ الجفاف ديبه المريب الى حساشته ،
فيصمت صمته الاخير ، تاركاً بعده فراغاً موحشاً دائماً !



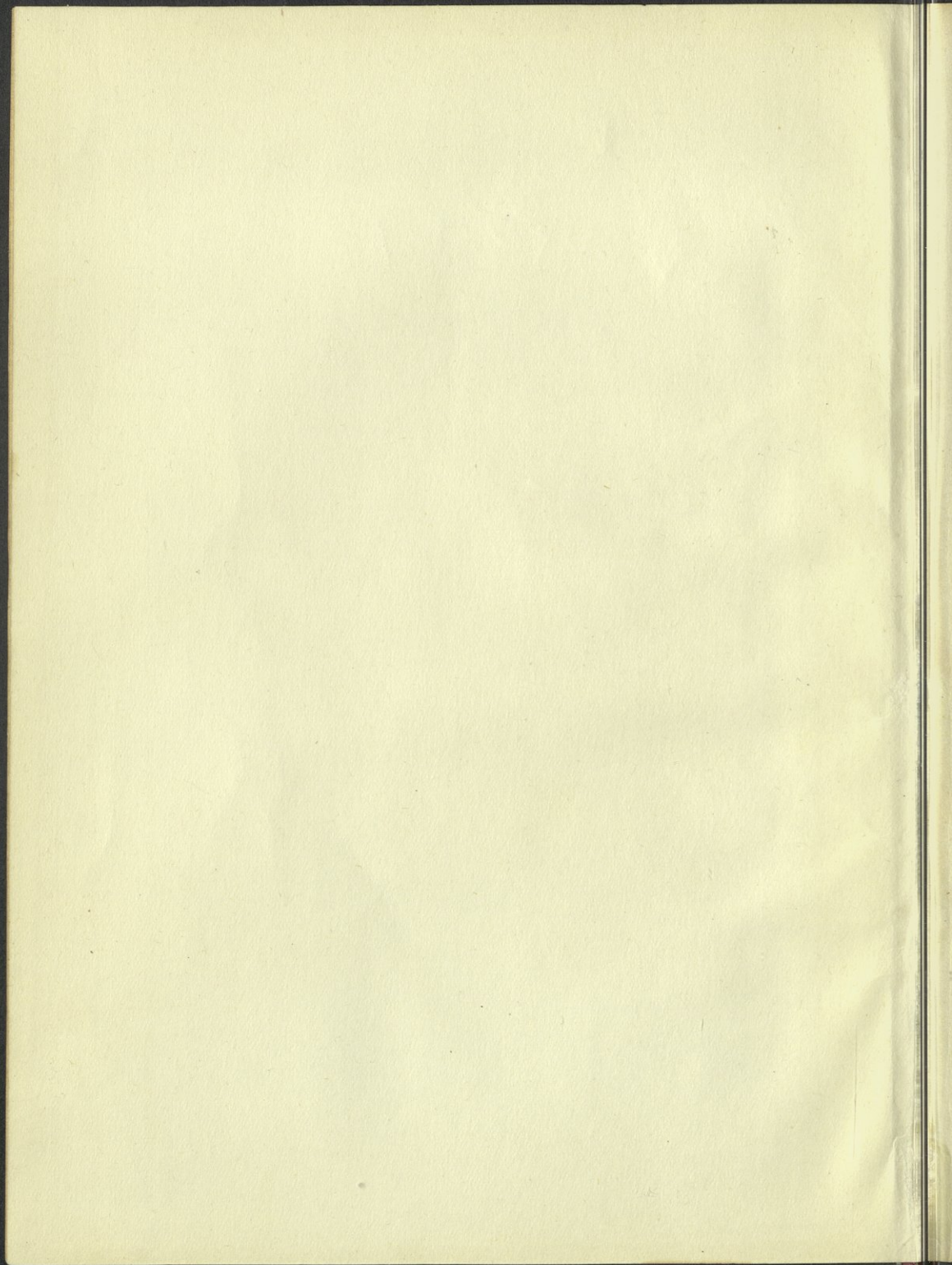
... اعنّي يا رب !
هبني قوة يا الهي ،
لئلا يتزعزع ايماني بك من جديد .

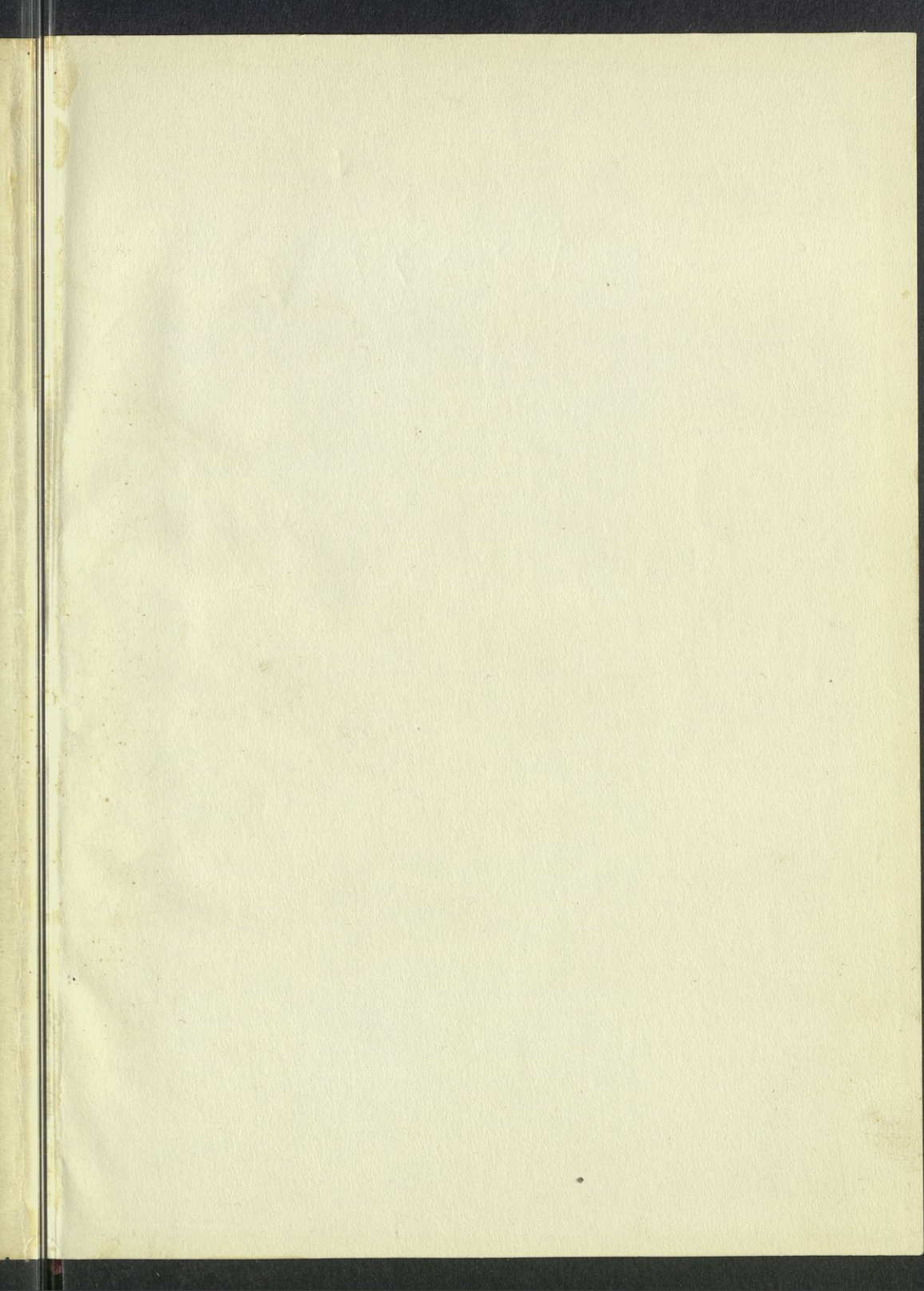


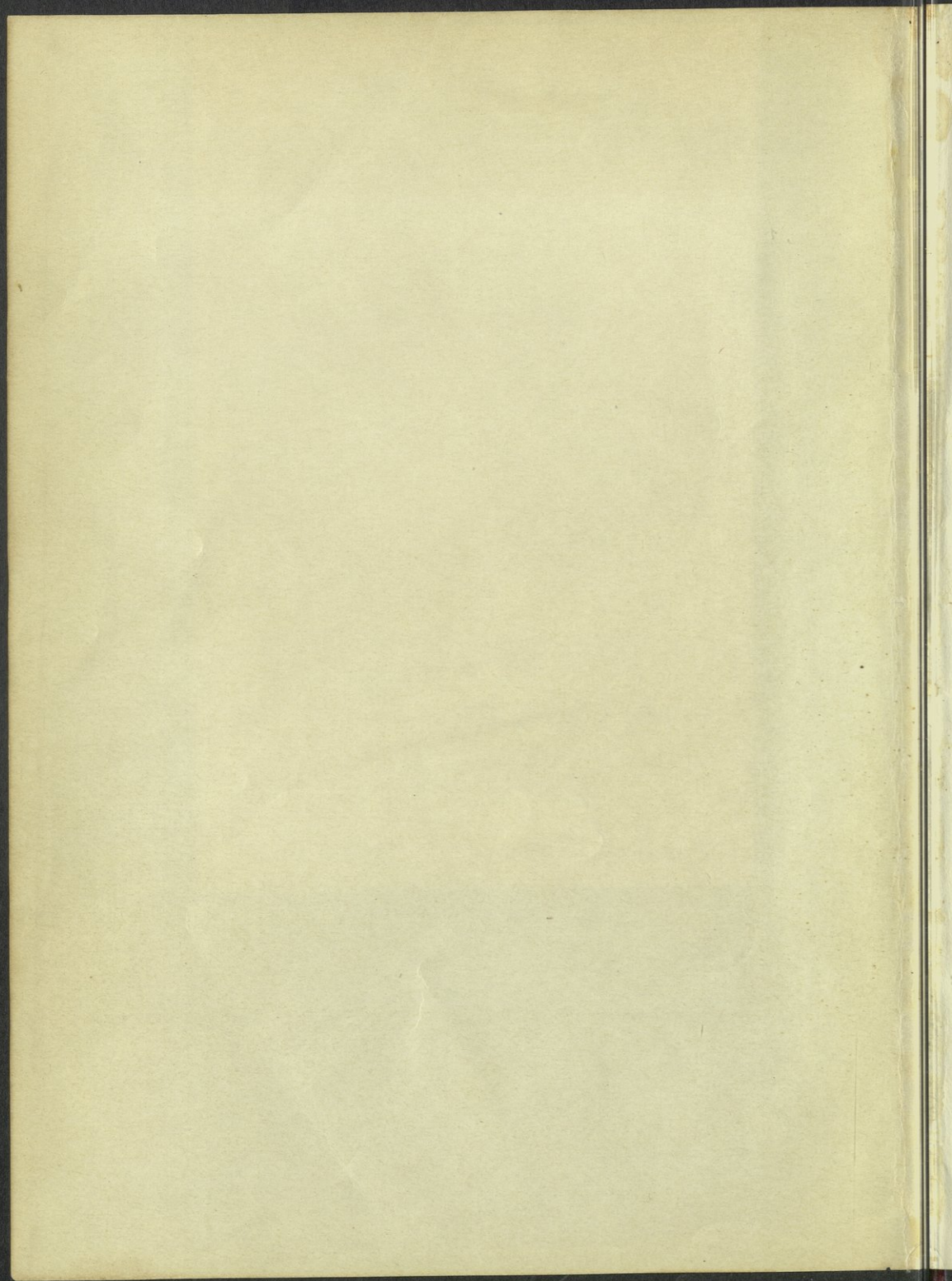


٥	تصدير
١٧	بوح
١٩	زورة
٢١	قدر
٢٧	بحار
٣٠	درب الحياة
٣٤	لهوة الطفولة
٣٧	وحي الحبيب
٤١	حكاية عمري
٤٤	الحكمة الباقية
٤٧	الشموع الست
٤٩	تفتح الزهر
٥٣	رفيق الغدوة
٥٦	غموض
٥٨	ضلال
٦١	رأس
٦٥	في العاصفة

٦٨	سنتا كلوز
٧١	فراخ البلبل
٧٧	برعمة
٧٩	فراغ
٨١	صبحية
٨٧	سويداء
٨٩	امل
٩٠	اللحن الضائع
٩٤	زهراتك البيضاء
٩٩	لا شيء
١٠١	اجراس العيد
١٠٤	رقة قلب
١٠٦	جراح الصديق
١١١	هذا اللحن
١١٣	مع جدتي
١١٥	بث شوق
١١٨	شجن
١٢٣	في معبد







[illegible]

شيبوب، ادفيك جريديني
بوح، قصائد واهازيج
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01035385

American University of Beirut



General Library

